مكتبتنا العربية

١٤١ر١٤٠

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ للطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

القاهرة في غرة شوال ١٣٧٤ - ٢٣ مايو ١٩٥٥ - الجزءان ١٧ و ١٨ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

المال - في نظام الاسلام

تحصيله، وادخاره، وطرق التصرف فيه

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قالت مجلة (لايف) الامريكية في جزئها الاخير الصادر قبيل كتابة هذا المقال :

« إن الإسلام أكثر من مجرد دين رسمي ؛ إنه مذهب في الحياة ، إنه فلسفة ، إنه قوة دافعة لا مثيل لها في العالم الغربي » .

ومن حق المسلمين على صحافتهم أن تتحدث إليهم - بين حين وآخر - عن الإسلام من حيث هو مذهب في الحياة ، ومن حيث هو قوة دافعة ، ليوجهوا مجتمعهم في سننه التي باعد الاستعمار بينهم وبينها ، وليوحدوا اتجاههم نحو أهدافه بعد أن فرقت بينهم السبل .

وأول ما يتبادر إلى الأذهان من نظام الإسلام نظامه في المال ، لأنه شغل الناس الشاغل في الحياة ، وهو مطلوبهم الذي يكدحون للإكثار منه ، ومن الخير أن يعلموا حكم الإسلام على ما هم في سبيله من ذلك ، ليكون كدحهم موافقا لمناهج الإسلام ، فيجمعوا بين الحسنيين : سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة .

مكتبتنا العربية

١٤١ ، ١٤٠

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٢٠٠ للطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

القاهرة في غرة شوال ١٣٧٤ - ٢٣ مايو ١٩٥٥ - الجزءان ١٧ و ١٨ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

المال - في نظام الاسلام

تحصيله ، وادخاره ، وطرق التصرف فيه

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قالت مجلة (لايف) الأمريكية في جزئها الأخير الصادر قبيل كتابة هذا المقال :

« إن الإسلام أكثر من مجرد دين رسمي ؛ إنه مذهب في الحياة ، إنه فلسفة ، إنه قوة دافعة لا مثيل لها في العالم الغربي » .

ومن حق المسلمين على صحافتهم أن تتحدث إليهم - بين حين وآخر - عن الإسلام من حيث هو مذهب في الحياة ، ومن حيث هو قوة دافعة ، ليوجهوا مجتمعهم في سننه التي باعد الاستعمار بينهم وبينها ، وليوحدوا اتجاههم نحو أهدافه بعد أن فرقت بينهم السبل .

وأول ما يتبادر إلى الأذهان من نظام الإسلام نظامه في المال ، لأنه شغل الناس الشاغل في الحياة ، وهو مطلوبهم الذي يكدحون للإكثار منه ، ومن الخير أن يعلموا حكم الإسلام على ما هم في سبيله من ذلك ، ليكون كدحهم موافقا لمناهج الإسلام ، فيجمعوا بين الحسنيين : سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة .

إن الإنسانية لا تعرف نظاما أدق ولا أنبل من نظام الإسلام فيما يوجبه على المسلم من تحرى الحق والنزاهة فى الحصول على المال ، ليكون من وجهة النظر الإسلامية مالا « حلالا » . والمأثور فى ذلك عن صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ من الأوامر والتوجيهات ، وأساليب تطبيقها فى سيرة أصحابه والتابعين لهم بإحسان ، قد حفلت صفحات كتب الفقه الإسلامى والآداب الشرعية بالأحكام المستمدة منها والمستنبطة من نصوصها ، مما لا يتسع الإفاضة فيه مقال فى مجلة .

والحقيقة الأولى من حقائق نظام الإسلام فى المال أنه يحارب مبدأ اعتباره (غاية) ، لئلا يؤدى ذلك بالناس إلى إسراف فى تحصيله وادخاره طلباً لما يسميه الناس (غنىً) ، والغنى لفظ مبهم ليس له مدلول ثابت ولا حدود معينة ، فكل غنىٍّ فقير بالنسبة إلى من هو أغنى منه ، وكل فقير غنى بالنسبة إلى من هو أشد منه فقرا . فالكدح لأجل الغنى - باعتبار أن المال غاية - يستحيل أن يبلغ بجميع الكادحين فى سبيل ذلك إلى غاية يصير فيها كل كادح أغنى من كل غنى ، ومآل ذلك إلى أن يبقى كل كادح أفقر ممن هو أغنى منه ، وبذلك تصبح جهود الإنسانية ضائعة فى سبيل مطلب سخيف يجرى الناس من ورائه فى مثل الدوّامة التى لا راحة لمن اندفع معها فى حركتها ، فكلما أمعن جريا معها ازداد بذلك بعدا عن السعادة ، وحرم الشعور بهناءة الاستقرار .

إن (الغنى) بطر وطغيان ، و (الفقر) كاد أن يكون كفرا . وأكثر ما تنشأ العداوات بين الناس - بل بين أفراد الأسرة الواحدة - عن حب المال ، واعتباره غاية ، والتنافس فى ادخار ما يزيد منه على مقدار الحاجة . وقد يطغى هذا التنافس بين الناس فيبغى بعضهم على بعض حتى فى حاجاتهم وضرورياتهم . وإذا سنّ المجتمع أنظمة لنفسه تخفف من بغى الناس بعضهم على بعض فى سبيل المال ، فإن مجرد اعتبار المال غاية يجعل الحياة تافهة ، ويدفع بأهلها إلى نشاط آلىّ مزعج ، ثم هو يذهب بالوقت فى غير مذاهب السعادة التى يطمئن إليها العاملون القانعون .

لذلك اعتبر الإسلام المال (وسيلة) : فهو وسيلة الفرد إلى استيفاء حاجاته الضرورية فى الحياة . ووسيلة الأسرة إلى هناءتها فى ستر وعافية واطمئنان ، بل وسيلتها كذلك إلى ضمان امتدادها فى خطوات متواصلة نحو السلامة والبقاء بنشاط وقناعة ورضا . ثم هو وسيلة الجماعة والدولة إلى قيام النظام الصالح فى المجتمع ، وتوفير مرافقه العامة والمشتركة ، وإلى دفع الطوارىء التى قد تهدد هذا المجتمع فى نظامه وأمنه وسلامته .

فالمال إذن - باعتباره وسيلة - ضرورى للفرد ، وقد حض عليه الإسلام بترغيب أهله فى السعى والعمل والكسب الحلال وضمان حق التملك الفردى . وضرورى للأسرة ، وقد سن لها الإسلام نظام النفقات ، وأرشد إلى فضيلة التواسى بالمعروف بين الأقارب . واحترم الإسلام أمنية الامتداد فى الأسرة فسن لهم نظام التوارث . ثم إن المال ضرورى للجماعة والدولة ، ولذلك سن الإسلام نظام الزكاة واعتبرها عبادة من العبادات المحتمة كالصلاة والصيام والحج . وإذا كانت الوسائل تقدر بقدرها فإن هناك فروقا دقيقة بين نظر الإسلام إلى المال من حيث هو وسيلة للاستعمال الفردى ، وبين نظره إلى ما زاد منه على قدر الحاجة ، باعتباره أمانة تحت يد صاحبه ليكون فى سبيل الله والمصالح العامة . فما هى الحدود الفاصلة بين هذا وذاك ، بل ما هى الحدود الفاصلة بين اعتبار المال وسيلة واعتباره غاية ؟

قال الإمام النووى فى ترجمة الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى من كتابه (تهذيب الأسماء) : كان مذهب أبى ذر أنه يحرم على المسلم ادخار ما زاد عن حاجته . وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة أبى ذر من (الاستيعاب) : وردت عن أبى ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش مذموم فاعله . وأن آية الوعيد فى سورة التوبة « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » نزلت فى ذلك . وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم ، وحملوا آية الوعيد على ما نعى الزكاة .

إن أبا ذر كان مسيح هذه الأمة المحمدية - كما وصفه بذلك أستاذه الأعظم معلم الناس الخير صلى الله عليه وسلم - وقد سبقه إلى مثل هذا المذهب المسيح عيسى بن مريم سلام الله عليه يوم قال : « لأن يدخل الجمل فى سم الخياط أهون من أن يدخل غنى ملكوت السماوات » .

وهذا الاختلاف بين أبى ذر وإخوانه من الصحابة فى تحديد الحد بين كون المال (وسيلة) وكونه (غاية) قد احتدم فى خلافة أمير المؤمنين عثمان ذى النورين ، وكان أمير المؤمنين عثمان نفسه من أغنياء الصحابة ، فكان غناه يسع الأمة فى مجاعاتها وأزماتها ، وكان غناه يسع جيش المسلمين فيحمل رضى الله عنه على رواحله كل من لا راحلة له من مجاهدى الصحابة ، فضلا عن زكاة أمواله التى كان يزخر بها بيت مالهم فى كل عام ، ومالا

يحصى من صدقاته التى يجهل الناس منها أكثر من الذى يعلمونه . بل أمير المؤمنين على أيضاً كان فى الشطر الثانى من حياته من أغنياء الصحابة ، قال ابن حزم : كان من جملة عقار علىّ ينبع ، كانت تغل له كل سنة ألف وسق تمر سوى زرعها . وروى محمد بن كعب القرظى — وكان من ثقات التابعين عالما كثير الحديث ورعا — أن عليا رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى على عهد رسول الله ﷺ أربط الحجر على بطنى من شدة الجوع ، وإن صدقة مالى لتبلغ اليوم أربعين ألفاً . وعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة كان من أصحاب الملايين ، وكان كأخويه عثمان وعلى يغذّى بيت المال بزكاة أمواله ، ويدخل السرور على البيوت المستورة بما يغدقه عليها من صدقات غناه ومبراته . لكن أغنياء الصحابة كانوا — مع ما يؤدونه من زكاة أموالهم ، وما يتصدقون به على رقيق الحال من أبناء أمتهم — يعيشون فى بيوتهم عيشة وسطا ، ويرون أن ما زاد عن حاجتهم فى هذه العيشة الوسط كأنه أمانة لله تحت أيديهم يدخرونه فى أيام الرخاء لأيام الشدة فيبذلون منه حينئذ بسخاء وكرم لسد حاجات المجتمع الإسلامى كلما رأوا مصلحة الملة فى حاجة إلى هذا المدد الغزير من أموالهم المباركة فى سلم الأمة وفى حروبها .

فهؤلاء الأغنياء من الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا على خلاف مع أخيهم أبى ذر الغفارى فى أن نظام الإسلام فى المال (وسيلة) ، ومنع كل المنع من أن يكون (غاية) . لكنهم اختلفوا معه على تحديد معنى الوسيلة ، فأبو ذر يمنع الادخار من حيث هو ويعتبره كنزا تكوى به جباه أصحابه يوم القيامة ، بينما إخوان أبى ذر حملوا هذا الوعيد على المقصرين فى القيام بواجبات الادخار وأعباء الغنى ممن يتجاهلون معنى الأمانة فيما زاد من المال عن الحاجات الشخصية ، فيذهبون فى ذلك مذاهب أهل السرف والبذخ ، ويستعملون فضول أموالهم فى غير المواضع التى يرون أن فيها مرضاة الله .

نحن هنا الآن أمام الحقيقة الثانية من حقائق نظام الإسلام فى المال ، وهى أن المسلم مطالب بأن يعيش عيشة معتدلة من غير سرف ولا تقتير ، وأن عليه - وعلى من هم تحت ولايته من بنيه وذويه - أن يحاذروا اعتياد ما يستطيعون الاستغناء عنه من الكماليات ، لئلا يصبح - بحكم العادة - من الحاجيات ، فيفقدوا عنصرا من عناصر حريتهم التى كانوا عليها عند ما كانوا ينعمون بنعمة العافية من العبودية لحاجة جديدة كانوا عنها فى غنى .

مكتبتنا العربية

إن (التحرر) من الكماليات والتوافه مصدر كريم من مصادر السعادة ، كما أنه اتجاه حكيم للأمة التى تؤثر القوة على الضعف . وهذا ما أراد أمير المؤمنين عمر أن يحمل المسلمين عليه يوم كان يقول لهم : « اخشوشنوا ، فإن النعم لا تدوم » . بل إن هذا (التحرر) مرتبة عالية من مراتب تحرير النفس ، وكأنى بالإمام محمد بن إدريس الشافعى يستعرض هذه المعانى كلها فى ذهنه وهو يمر بالذى يتوضأ على شاطىء النيل من مدينة الفسطاط ، فينهاه عن الإسراف بالماء على وضوئه . وما كان الإمام الشافعى يخاف على ماء النيل أن ينقص بإسراف المتوضىء فى وضوئه ، لكنه كان يخاف على المتوضىء نفسه أن يعتاد الإسراف فى مأكله وملبسه إذا اعتاد الإسراف بالماء فى وضوئه ، والإسلام يكره لأهله أن يسرفوا وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك بنص التنزيل « ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين » . والمسلم إذا عالج هذا التحرر فى نفسه من السرف وطغيان الكماليات فإنما يعد نفسه بذلك لاحتمال الأعباء ومواجهة المصاعب عند وقوعها . والمسلمون الأولون ، فى استجابتهم لهداية الإسلام فى التحرر من الكماليات - بقدر الطاقة - كانوا على سابقة من ذلك فى سجايا عروبتهم ، إذ كان الاستغناء عن وسائل الترف من أشرف معانى (التحرر) عندهم ، فكانوا يذهبون بفطرتهم إلى أن (المدينة) سجن ، و (المدنية) قيد ، وقد اشتقوا اسميهما فى لغتهم من مادة (دان . . يدين) وهى تنطوى على معانى الخضوع والخنوع ، وذلك مما ينافى مذهبهم فى الحياة التى لا يرونها سعيدة إلا إذا ضمنت لهم الحرية النبيلة الكريمة بأوسع دوائرها . وفى زمان أبى ذر استقدم معاوية إلى قصره على ضفاف بردى حرّة من سيدات البادية وكريماتها العاقلات لتكون سيدة قصره وأم ولده ومنجبة ولى عهده ، فكان من أمر هذه السيدة الحكيمة — وهى ميسون بنت بحدل القضاعية — أن ضاق صدرها فى قصر الخضراء بالترف الذى استعبد له أهل المدن ، مما يجافى طباع العربى والعربية ، ونحن لا نزال إلى اليوم نترنم بقولها :

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إلىّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى ... أحب الى من لبس الشفوف

هذه النظرة الفطرية السليمة إلى الحياة ، منضماً إليها معان أخرى كثيرة من المعانى السامية ، هى التى أهلت العرب لفهم أنظمة الإسلام ، والعمل بها ، والنهوض بأعباء رسالته ،

مكتبتنا الغربية

وتحقيق أهدافه ، والتمهيد للإنسانية العليا ، مما ننوء نحن الآن بمثله ، لأننا أثقلنا كواهلنا وأوقرنا ظهورنا بالعبودية لهذه الكماليات والتوافه ، فترخصنا فى كثير من شروط الإسلام للكسب الحلال ، وتجاوزنا حدوده فيما نأخذ وما ندع ، فبطأت بنا خطواتنا عن مواصلة السير إلى السيادة والسعادة فى قافلة الإسلام التى كان يسير بها أبو بكر وعمر إلى أهداف الإسلام القصوى .

المال سلاح ، وكما أن لاقتناء السلاح وحمله « رخصة » وشروطا ، فإن لتحصيل المال والحصول عليه إرشادات وشروطا . وكما أن السلاح لا يستعمله الفرد فيما يتعلق بشخصه إلا فى حالة الدفاع عن النفس ، فالمال فى النظام الإسلامى ينبغى لحامله أن يستعمله فى ضرورياته وحاجياته بأضيق حدودها ، متذكراً دائما الهداية القرآنية فى وصف المسرفين ومقت المبذرين . ثم يكون هذا المال بعد ذلك - كما يكون السلاح - قوة للجماعة والدولة فى استتباب أمنها وطمأنينتها ، وفى الدفاع عن حوزتها .

إن العامل بالأجر اليومى فى زماننا إذا كان يدخن التبغ ويسرف فى تناول الشاى ، ثم استطاع أن (يتحرر) منهما ، كم ترى يستطيع أن يقتصد من نفقته فى السنة الواحدة فيرده على زوجه وولده وذويه غذاء وكساء ؟ ولعله يستطيع أن يدخر من ذلك فى عشرات السنين ما يبنى لهم منه مسكنا صحيا بسيطا يكون خير ذخر يتركه لهم إذا انتهت مدة حياته معهم ، زد على ذلك ما يحفظ على صدره وجوفه من صحة وسلامة وقوة . ولو أن الكثيرين من عمالنا وأشباه العمال فى كسبهم المحدود تربوا على مبدإ (التحرر) من الكماليات والتوافه على هذا الوجه لكانوا بذلك سعداء فى أخلاقهم ومعيشتهم ، وحسن التصرف فى مواردهم ، ومواجهة المسئوليات بيسر وراحة بال . ولن يفوتهم بهذا التحرر إلا زوائد مضرة بالصحة والخلق ، وعادات سخيفة تدل على الإسفاف . وليس فيها ما يسمن أو يغنى من جوع . وكم ترى تنفق مصر كل عام ثمنا لما تستهلكه من جوارب النايلون التى لا تدفىء ولا تستر ؟ أليس المال الذى ينفق عليها يذهب حراماً ؟ وهل لو كنا نتصرف فى أموالنا تصرفا إسلاميا نخسر كل هذه الأموال على هذه الجوارب السخيفة ؟

مبدأ التحرر من الكماليات والتوافة ، والاقتصار على ما لا بد منه ، من أسمى المبادىء التى دعا إليها المسيح عيسى بن مريم فى دنيا التوراة ، ودعا إليه مسيح المحمديين أبو ذر

مكتبتنا العربية

الغفارى فى دنيا القرآن . على أن الإسلام نفسه جاء ديناً وسطا : فلم يحاول مقاومة الطبيعة ، بل عالج تقويمها ، وسدد اتجاهاتها ، وأرشد الإنسانية إلى الاعتدال فى كل شىء : الاعتدال فى الثروة والغنى ، الاعتدال فى الفقر والزهد ، الاعتدال فى الحب ، الاعتدال فى البغض ، الاعتدال فى الراحة ، الاعتدال فى النشاط وبذل الجهد . بل إنه - وهو دين - جاء يدعو إلى الاعتدال حتى فى الدين : « لا رهبانية فى الإسلام » ، « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق » ، « الدين يسر ، ولن يغالب الدينَ أحدٌ إلا غلبه » ، « إياكم والغلو فى الدين ، فإنما هلك من قبلكم بالغلو فى الدين » .

لو كان من السهل مقاومة الغنى إلى الحد المأثور عن المسيح عيسى بن مريم لما خالف ذلك بعض عظماء كنيسته فى مآكلهم وملبسهم ومسكنهم وديارتهم . وقد أدرك هذه الفجوة الواسعة بين النظرية وتحقيقها بالعمل كثيرون من عقلاء المسيحيين ، ومنهم جبران خليل جبران فعقد لها فصولا وأقاصيص بل أفرد لها كتبا يتمتع المتأدبون بقراءتها . وإذا كان العمل بهذا المبدأ لم يطقه القائمون على تراث المسيح والمنتصبون للدعوة باسمه ، فأولى بمعاصرى أبى ذر أن يروا فى اعتدال النظام الإسلامى ما هو أكثر ملائمة للحياة . وحبذا لو كان ميسورا للبشر الأخذ بطريقة المسيح عيسى بن مريم ومسيحنا المحمدى أبى ذر ، إذن لانقطع بذلك كثير من أسباب الشرور ، وكان يكون الرضا بهذه القناعة سعادة لا يدرك لذتها إلا من ألف هذه الطريقة وارتضاها ، وقليل ماهم ... بل أين هم ؟ . . .

ولا يطمعن دعاة الباطل الشيوعى أن يجدوا من أبى ذر دعوته وطريقته متكأ لهم فى تاريخ الإسلام ، فإن جبابرتهم المتبوئين قصور الكرملين - حتى لو انضووا إلى ملة حبيب أبى ذر ومعلمه الأكبر صلوات الله عليه - يراهم أبو ذر حصب جهنم ، ويعتبرهم من فراعنة الإنسانية وطغاتها . والذين يتصيدون فى الماء العكر ليستفيدوا من اختلاف وجهتى النظر بين أبى ذر ومعاوية رضوان الله عليهما ، يجب أن يعلموا أن معاوية كان من صالحى البشر فى سيرته ومعيشته ، وهو مصباح من مصابيح الإسلام ، لكن جاء بعد شموس من نفوس الخلفاء الراشدين الذين ضن الدهر على بنى الإنسان بأمثالهم ، فما كان المصباح مهما تألق نوره أن يكون كما يجب أن يكون فى جانب تلك الشموس التى ملأت الأرض هداية ونورا . وإن سيد الزهاد فى عصره أحمد بن حنبل الذى يفهم معنى الزهد وعالجه فى نفسه وفى الناس قد ضرب الأمثال بسيرة معاوية لما ينبغى للناس الاقتداء به من مذاهب الزهد ، وإن القارىء ليجد

مكتبتنا العربية

هذه الأمثال من زهد معاوية فى (كتاب الزهد) الذى ألفه الإمام أحمد بن حنبل ليكون به القدوة والأسوة للناس .

وقد آن لنا أن نشير إلى منزلة المال فى نظام الإسلام ، وأن له فى تصرف المسلمين به حالتين : إحداهما ما يتعلق منه بمعيشة المسلم الشخصية ، وقد مضت سنة النبى ﷺ وأصحابه ومن سار سيرتهم من التابعين وسائر المسلمين على أن يقتصر المسلم من المال على الضرورى لحاجته ، وأن يحرر نفسه مما لا حاجة لها به من الكماليات . وهذا عمر بن عبد العزيز كان له السلطان الأعلى على الشام ومصر والعراق والحجاز واليمن وإيران والسند فى جناح الدنيا الأيمن ، وعلى شمال إفريقية وبلاد اسبانيا فى الجناح الأيسر ، وكانت تجبى إليه أموال هذه الممالك وعشورها وخراجها ، فكانت مائدة طعامه فى بيته أقل نفقة من مائدة موظف فى الدرجة السابعة من أهل زماننا ، وكان يفعل ذلك لأنه أراد أن يكون مسلماً فى معيشته الشخصية وأن يتصرف فى المال بما أرشده إليه النظام الإسلامى .

والحالة الثانية أن يكون تحت يد المسلم مال — إما من مال الدولة ، أو من مرافق الأمة ، أو مما دخل فى ملكه الشخصى من ميراث أو كسب حلال إلا أنه زائد عن حاجته — فمثل هذا المال : سواء كان من أمانات الله ، أو هو من مواهب الله (وما كان منه من مواهب الله فسواء كان بشكل مصنع ، أو متجر ، أو أرض زراعية ، أو عقار ، أو نقود كثرت أو قلت) فإن نظرة الإسلام إلى ذلك أنه أمانة لله تحت يد المسلم ، وأنه محاسب على حسن تصرفه فيه أضعاف ما كان محاسبا على كيفية حصوله عليه . وهذا التصرف يختلف بحسب الزمان وظروفه ، والبيئة وحاجاتها العامة . ففى العصور التى لم يكن المال فيها كل الأهمية التى له اليوم عسكريا واقتصاديا كان أغنياؤنا يتصرفون فى الزائد عن حاجتهم من مواردهم بما يسمى فى تاريخنا بالكرم والجود ، فكانوا ينفقونه - على من يلجأ إليهم ويعلق أمله على كرمهم - بسخاء لا يكاد يصدّق . وكانوا يتصيدون الفرص السانحة للجود بما تحت أيديهم من الأموال كالذى نقرأه فى صفحات أخبارهم . وذلك لأنهم كانوا يرون أن تضخم المال فى الأيدى القليلة يحبسه عن التداول حتى يصل إلى الأيدى المحتاجة إليه ، فكانوا لا يكتفون بإخراج زكاته ، ولا بتنويع الصدقات الأخرى : الدائم منها كالأوقاف الجارية ، والمنقطع منها كالذى يعطى فى مختلف الوجوه وشتى المناسبات ، بل يجعلون الكرم والعطاء

منفذا ثالثا للخلاص من الأموال الزائدة ابتغاء مرضاة الله ، وجريا على سنة العرب فى الكرم، وعلى حكم الإسلام فى الاعتدال الاقتصادى ، حتى تضيق الفجوة بين الفقر والغنى .

إن المبدأ الذى كان هؤلاء يعملون به صحيح ، والطريقة التى يحققون بها هذا المبدأ كانت ملائمة لزمانهم . أما اليوم ، فالمال أصبح قوة أساسية يتوقف على حسن سياستها عز الملة ويكون بعكسه ذلها ، فالاكتفاء منه بمقدار الحاجة على نفقتنا الشخصية لا يزال واجباً علينا فى ديننا كما كان يفهمه عمر بن عبد العزيز . ولكن اختلاف أسلوب التصرف فيما زاد من هذا المال عن حاجتنا الشخصية ، فأصبحنا فى موقف الامتحان من الله عز وجل بحسن التصرف فى هذه الزيادة ، ومن العبادة أن تستعمل فى تأسيس المصانع وتثمير الأموال والإكثار من المرافق بشرط أن تكون (النية) فى ذلك تحسين حال المسلمين وتيسير أمورهم والنهوض بمستواهم الاجتماعى والاقتصادى والعلمى والعمرانى والحربى .

وأحب أن أنوه فى هذه العجالة بمكانة (التعاون) فى الإسلام : فالمسلمون مأمورون به أمر إيجاب ، بما لا يقل عن سائر ما أوجبه الإسلام عليهم مما نعده دينا . كل خير ، وكل مصلحة مشروعة ، تضيق جهود الأفراد عن تحقيقها ، فالمسلمون مأمورون بتحقيقها من طريق (التعاون) . وفى هذا الزمان الذى ازداد فيه اعتبار قوة المال وحاجة المسلمين إلى استكمال مرافقهم الصناعية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية والحربية صار من الواجب عليهم التوسع فى نظام التعاون ، ولو أدى بهم إلى أن تكون أممهم أمماً تعاونية ، ودولهم دولا تعاونية ، مع تعديل أنظمة التعاون بسنن الإسلام وتوجيهاته كلما رأوا حاجة إلى ذلك .

الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهة ، فالمسلم يجب عليه فى كل ما يحاوله من سياسة المال ومكابدة العمل أن ينشد « الحلال » ويتحراه ، ويحذر « الحرام » ويطهر يده وذمته منه ، وأن يكون موقفه من الأمور المشتبهة موقف النصوح الحكيم الذى يلطف من حدة الشر ويحاول توجيهه إلى الخير ، وأن يستعمل المال فى خير الملة ، ويلاحظ فى كل تصرفاته مرضاة الله والنهوض بأمته وتوفير أسباب الخير لها مجتمعة ، ولأبنائها فرادى ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٢٩ —

الوجوه البيض فى اليوم الآخر

« وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون »

١ — أية وجوه تلك التى عرضت لها الآية بالثناء ، وذكرتها فى أعذب قصص ، وأطيب رجاء ؟؟ .

أهى الوجوه التى كانت فى الدنيا تتناولها يد المساشطة حتى تُهذب من قبحها ، وتنسقها بالخضاب حتى تصقل إهابها ، ثم تتركها مسرحا للعيون الخائنة ، ترشقها بالنظرات الآثمة ، وخدعة يلوح بها الشيطان ، ويدعو إليها الغواة ، ويجمع حولها الفساق ؟؟

أم هى الوجوه التى نسقتها يد القدرة فكان يشع البهاء من قسماتها ، ويشرق الحسن من طلعتها ، ثم هى لا تعرف لله نعمة ، ولا تخشى له جانبا ، ولا تسجد بين يديه سجدة المؤمنين الشاكرين ؟ ؟

لا هذه ، ولا تلك . فإن الله لا ينظر فى الناس إلى صورهم ، ولا يقدرهم بأجسامهم ، ولكن ينظر إلى قلوبهم ، ويزنهم فى الآخرة بأعمالهم .

ورب إنسان بين الناس أشعث أغبر ، ولكنه على صلة بالله ، فهو عند ربه بر مشكور ، وله فى الآخرة حظوة ممدودة ، ومنزلة مشهودة .

٢ — فمن هم أولئك الذين وصفهم القرآن ببياض الوجوه ، وبشرهم بأنهم سيكونون فى رحمة الله خالدين ؟ ؟

جواب ذلك فى سياق الآيات فقد بينت سوابقها :

ا — أن هناك دعوة إيجابية توجهنا إلى الكمال الذاتى : نأخذ به لأنفسنا ، ثم ننشده فى غيرنا .

ب — وأن هناك دعوة سلبية تصرفنا عن الشر الذى وقع فيه غيرنا .

ثم انتهت بنا الآيات إلى الغاية التى يكون فيها بياض الوجوه أو سوادها .

٣ — ا — فالكمال : فى أمور ثلاثة (١) فى تقوى الله حق تقاته (٢) وفى التسلح بالدين دائماً فى السر وفى العلانية حتى لا يفجأنا الموت إلا على الإسلام (٣) وفى التضامن على الحق والاعتصام بحبل الله والرجوع إلى شريعته فى كل ما يعرض لنا من الخلافيات ، حتى لا يتفرق جمعنا ، وتضعف شوكتنا ، ويقبح معاشنا فى دنيانا .

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .

٤ — وكمالنا فيما ننشده للغير فى أمور ثلاثة (١) أن ندعوهم إلى الخير (٢) ونأمرهم بالمعروف (٣) وننهاهم عن المنكر . وهذه رسالة المصلحين ، بعد أن صلحت حالهم (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . ويأمرون بالمعروف . وينهون عن المنكر)

ونحن فى حوزة هذه الآيات نكون على الكمال المنشود للإسلام فى أهله ، البارين بأنفسهم وبدينهم وبغيرهم . وما من شك فى أن الإنسانية لا تتمثل فى شاكلة خير من هذه الشاكلة ، وأن من كان فى هذا الوضع الرفيع من أوضاعها التى رسمها الإسلام يكون على سبيل راشدة ، لاستمداده التوجيه من مناهج الكتاب والسنة ، وتلك سبيل الهداية التى لا تكلف المرء جهداً ، ولا تبعده عن شىء من الخير ، فنصيبه فى الدنيا مكفول ، وحظه فيها ناهض ، وشأنه فى الآخرة موكول إلى وعد الله الصادق (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)

هذا التوجيه ظهر عمليا فى مسلك المسلمين أول عهدهم ، وظهرت آثاره فى نجاحهم يوم تمت لهم السيادة واتسعت لهم الرقعة ، وظهرت منهم المثالية فى سياستهم وعدالتهم ونجحهم الذى بهر التاريخ : ثم ضعف بقدر ما ضيعوا وفرطوا .

وبهذا التوجيه والأخذ به لا نكون كالذين بلغتهم دعوة ربهم فركبوا رءوسهم ، وتفرقت عقيدتهم ، وأصبح كل منهم فى زاوية من زوايا الباطل ، وتمكنت بينهم الخصومات الدينية حتى شغلتهم جميعاً عن تتبع الحق فى ذاته ، وعن الرضوخ للصواب حتى لو بان لهم وشخص أمام عيونهم .

مكتبتنا العربية

٥ — ب — وأولئك هم الفريق الآخر، الذى دفعتنا عن متابعته الدعوة السلبية فى صدر الآيات . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » . هذا الفريق هو الذى سلك مسلكا معوجا عن صراط الله ، وانحرف انحرافا غاويا ، وهم الذين كبر عليهم أن يحيدوا عن العصبية ، وأبوا أن يزنوا الأمر بميزان النصفة والاعتدال : فمنهم من تحلل من دعوة الله إلى التدين ، ولم تخضع وجوههم لله بالإيمان والتعبد ، فحملوا أنفسهم ظلماً ، وأورثوها غضبا . ومنهم من تدين ، ولكن فى غير مطاوعة للدين الحق الذى ركن إليه ، فلم يتابع رسوله فى الإيمان بالرسل، والرجوع إلى الله الحق فى كل ما جرى على ألسنة الرسل من الحق . ومنهم من ظن نفسه تام العقيدة ، كامل الإسلام، وهو فى نفسه حرب على العقيدة ، خصم لدينه بما يأتى وبما يدع ، وهو حجة سيئة لمن تتبع الإسلام فى عمل أهله ، ولمن يحاسب المسلمين على احترامهم لدينهم ، ويظن أن ضعف التدين عند الأشخاص يعتبر ضعفا فى الدين ذاته . هؤلاء جميعا - والله المعيذ - هم الذين يحشرون يوم القيامة على حالة تخالف حالة الأولين .

٦ — هذان فريقان : قال عنهم القرآن : « يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه » .

وقد بين لهم القرآن جميعا ما يأخذون وما يتركون ، فإذا ما قطعوا سبيل الحياة ، وانتهوا إلى غايتها ، ووقفوا من ربهم موقف الجزاء ، كان طبيعياً فى نظر العقل ، وكان عدلا فى نظر الدين ، أن يفرق الله بينهم فى المقام والمظهر ، وأن يميز بين خبيثهم وطيبهم ، ليلمس كل منهما نتائج سعيه فى دنياه ، ويرى مصيره الذى ارتضاه ، وليعلموا جميعاً أن وعد الله حق، وأنه كان قولا فصلا ، ولم يكن بالهزل .

فبياض الوجوه فى تلك المواقف ليس بياضها الذى كان عرضاً فى الحياة وكانت به فتنة فاتنة ، فقد يكون ذلك قبحاً هناك .

وإنما بياض اليوم هو وضاءة وصباحة من أثر الإيمان ، وهو روعة وبهجة لحسن مآلهم عند ربهم ، واطمئنانهم على أنفسهم ، وظفرهم بما وعدهم من المثوبة وحسن القبول .

٧ — هذه الوجوه هى التى تردد فى القرآن ذكرها ، وتعدد فى الآيات وصفها ، وتنوع الثناء عليها ، وتأكد الوعد لها ، فإن الله يقول عنها : « وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، فى جنة عالية » ، ويقول : « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » .

أرأيت أن هذه الوجوه التى وصفت بالبياض : هى التى تكون ناضرة فى النعيم ،

مغمورة بالرضا، وهانئة بالنظرات إلى الذات الأقدس.. هي التي تعرف فيها نضرة النعيم، وهي التي تسقى من رحيق مختوم، لم يسبقها إليه أحد، ولم تخالطه آفة ولا شائبة ولا نقصان.

هؤلاء هم المتقون الذين سيكونون في جنات وعيون، وسيكونون في مقام أمين، وسيكونون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. هم هؤلاء، وليسوا هم الذين يريدون علوا في الأرض أو فساداً ولا الذين يتبتلون عن الدنيا رياء أو يتصنعون الزهادة فيها تحايلا، وإنما هم الذين يبتغون الدار الآخرة ولا ينسون نصيبهم من الدنيا، وهم الذين ساروا على النهج الأقوم في عقائدهم، وأعمالهم. وفي مودتهم المسلمين ومعاملاتهم مع الغير.

٨ — وليسوا أولئك الذين قال فيهم: «فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون».

٩ — نعم كفروا بعد الإيمان، فقد كانوا مؤمنين منذ أدركوا ما في الحياة من أمارات القدرة، وشاهدوا ما فيها من مظاهر الإبداع لمن أنشأ ذلك بقدرته، وكانوا مؤمنين منذ عرفوا لأنفسهم عقولا يهتدون بها، وحواس يدركون بها، ثم لم يستخدموها في الاهتداء، حتى تعطلت عن صواب الإدراك، وسخروها في غير ما خلقت له..

وكانوا مؤمنين يوم دعاهم رسلهم، وترادفت الدعوة على ألسنة الرسل ففرقوا بينهم، وآمنوا ببعضهم وكفروا بالبعض، وما هكذا يكون الإيمان بما جاء من عند الله.

كانوا مؤمنين لو لم يتخيروا لأنفسهم الضلالة، ويسلكوا سبيل الغي. هؤلاء أصحاب الوجوه السود، وهم أصحاب الوجوه الباسرة العابسة التي تقف هناك مكتئبة محزونة، تتوقع ما ينزل بها من كل داهية فاقرة - تقصم فقار الظهر - وما سيحل بها من الهوان.

هؤلاء هم أصحاب الوجوه الخاشعة العاملة الناصبة. والخشوع وما بعده أوصاف المتواضعين العاملين في طاعة الله، ولكنها هنا للتبكيت والتوبيخ والتحسير لأنهم لم يكونوا كذلك، فهو يعيرهم بذكر أوصاف لم تكن لهم.

وبعد - فهل ذلك خاص بمن كفر؟؟

لا.. ذلك شأن العابثين بدينهم، ولو كانوا في ظنهم غير مأخوذين، فلكل امرء نصيبه، وجزاؤه على ما انتهك من حرمات الله، ولو كان في عداد المسلمين، وليس من عذاب الله مهرب ولا ملجأ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات. ورحمة الله قريب من المحسنين؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

بلوغ الدعوة المحمدية

عموم الدعوة المحمدية وخلودها - أمة الدعوة والإجابة - كاتمو الحق وهم يعلمون - صيحة مدوية - من بلغتهم الدعوة محرفة - ويل المقصرين فى الدعوة - ضيعة الحق - إحالة إلى مراجع ...

* * *

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : والذى نفس محمد بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار . رواه مسلم .

* * *

مما اختص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن بعثه إلى الناس عامة ، وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، ومن هنا كانت تتجدد الرسالات وتتعاقب ، بتجدد الأجيال وتعاقب الأمم ، وربما يُبعث فى العصر الواحد أكثر من رسول واحد . وأما رسالة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فهى خاتمة الرسالات ، وشريعته خاتمة الشرائع ، ودعوته عامة شاملة باقية إلى يوم النشور .

وإذاً فالناس من أول يوم بعث فيه صلوات الله عليه وسلامه ، مدعوون بدعوته ، مأمورون بشريعته .

فأما من بلغته منهم هذه الدعوة — فى حياته ﷺ أو بعدها — فسكن

إليها واستجاب لها ، فهو من أمة الدعوة والإجابة معاً ؛ وأما من أباها وأعرض عنها ، فقد دَحَضت حجته ، وسقطت معذرته ، وحقت عليه كلمة العذاب ، فكان من أصحاب النار ، وبئس القرار .

* * *

هذا شأن من سمع بالنبي ﷺ . فاستجاب له ، أولم يستجب .

وأما من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم قط ، ولم تبلغه دعوته - كائناً ما كان الحائل بينه وبين هذه الدعوة - فهذا معذرته معه ، ويشهد ببراءته ومعذرته النبي صلى الله عليه وسلم نفسه في حديثه هذا ، بل يشهد ببراءته ونجاته ربه عز وجل إذ يقول : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » .

فني الآية الأولى شهادة منه عز وجل بأنه لا يعذب أحداً من عباده إلا بعد إقامة الحجة عليه ، بإرسال رسول إليه ، كما قال سبحانه : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وتأويل الرسول بالعقل ، مما يأباه بل ينفر منه العقل والنقل !!

وفي الآية الثانية شهادة منه سبحانه - وهو أكبر شيء شهادة - بنبوة من أوحى إليه هذا القرآن لينذر به قريشاً وسائر من بلغه القرآن وسمع به ، فأما من لم يبلغه القرآن ولم يسمع به ، فليس من المنذرين ، وعذره - كما قلنا - معه .

* * *

وتقديم قريش في الخطاب والإنذار والإعذار ، من الأمور الطبعية البدهية ؛ لأنهم - على اختلاف درجاتهم - أقرب الناس إليه ، وأولى الناس به ؛ أهله وعشيرته وأعرف الناس بسيرته ، بلغتهم نزل القرآن ، وبين ظهرانيهم نشأ وتربى عليه الصلاة والسلام ؛ فلم يكن عجبا أن يبدأهم بالإنذار ، ثم يقفّى بغيرهم من أهل القرى والأمصار . بل العجب كل العجب أن يكون الأمر على غير ذلك ! .

* * *

فرسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه إلى الناس كافة ، وخلود شريعته إلى يوم الخلود ؛ ووجوب تبليغها إلى ذلك اليوم الموعود . . . كل أولئك من أصول الإسلام الأولى ، التي لا يسع مؤمنا بالله واليوم الآخر أدنى تردد فيها .

* * *

عرف هذا الحق واهتدى به من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه .

وعرف هذا الحق واهتدى به فريق من أهل الكتاب وعلمائهم ، كعبد الله بن سلام ، وكان من أحبار اليهود ، وتميم الداري ، وكان من رهبان النصارى ، حتى ليؤثر عن عبد الله ابن سلام رضي الله عنه أنه لما أسلم قال له عمر رضي الله عنه : أتعرف محمداً صلى الله عليه وسلم كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم وأكثر ، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته ، وابني لا أدري ما كان من أمه . ويروى أن الفاروق رضي الله عنه قبّل رأسه حين سمع منه ذلك ! وكأنه رضي الله عنه - وقد فرح بعلم عبد الله وإيمانه - كان أشد فرحاً بصدق قول الله جل ثناؤه : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

* * *

وكأني بالرسول ﷺ - وهو يحدث بحديثه هذا - يقصد أول ما يقصد إلى هؤلاء الجاحدين الذين يكتمون الحق وهم يعلمون ! سواء منهم من جحد رسالته جملة وتفصيلا ، ومن جحد عمومها إلى الناس كافة ، وزعم أنه رسول الله إلى العرب خاصة : لأنه نبي أمي والعرب قوم أميون ، وقد قال هو نفسه : نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب . . . فاتخذ بهذا الزعم الضال المضل الكاذب المنافق - طريقاً وسطاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وآمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه ، وضل ضلالا بعيداً . .

يقصد الرسول ﷺ أول ما يقصد إلى هؤلاء الحاسدين الجاحدين ، فيرسلها صيحة عالية مدوّية ، مقسما بالقاهر فوق عباده ، القائم على كل نفس بما كسبت ، من بيده نفسه وأنفس العباد جميعاً ، انه لا يسمع نداءه كائن من أمة الدعوة إلى يوم الفزع الأكبر ، ثم يموت غير مجيب له إلا من كان من أهل النار خالداً مخلداً فيها أبداً .

* * *

وإذا كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يغن عنهم كتابهم من الله شيئا ، بعد رسالة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، فإن من عداهم ممن ليسوا بأهل كتاب أولى بأن يؤمنوا به ويعزروه وينصروه ويتبعوا النور الذى أنزل معه ، ويستمعوا له وهو يتلو عليهم « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

* * *

ولسنا بعد بيان الله ورسوله بحاجة إلى أن نعيد ما قلناه فى مناسبات عدة : إنه لن يؤمن بالله من لم يؤمن برسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لن ينفعه عند الله ولن ينجيه من عذابه ما قدم لهذه الإنسانية من حسنات شتى ... وكيف ، وأساس القبول أن يعرف العامل من عمل عمله لأجله ؟ ولن يعرفه إلا من طريق رسوله الذى أرسله داعيا إليه بإذنه ، ولو أن عملا ينجى من عذاب الله أحداً غير مؤمن لكان عمه الذى أسلفنا من حسناته الجسام ما أسلفنا أولى بذلك وأحرى ؛ وإن يوما من أيامه فى الشعب مع ابن أخيه لأرجح وزنا ، وأكبر شأناً مما قدم هؤلاء الكاشفون والمخترعون للناس فى حياتهم الدنيا . وحسبهم أن الله يعجل لهم فى هذه العاجلة ثواب ماقدموا للناس فيها ، جزاء وفاقا . ولا حرج على فضله أن يخفف عنهم من عذاب الجحيم شيئا ، وإن كانوا خالدين فيه أبدا .

* * *

بقى من بلغتهم الدعوة المحمدية مشوهة بالأباطيل والمفتريات ، وكثير ماهم ، والظاهر كما قال جمع من الفضلاء المعاصرين [1] ان هؤلاء فى حكم من لم تبلغهم الدعوة ، اللهم إلا أن تلوح لبعضهم شمس الحقيقة من خلال سحب الكتمان والتلبيس ، ثم يعمى عنها ويعرض عن النظر فيها مع قدرته على ذلك ؛ فإنما إثمه على نفسه .

وهذا لا يعفى الأمة الإسلامية — ولا سيما أولى الأمر منها — من تبعة المؤاخذة والتقصير فى تبليغ الدعوة المحمدية ، ما استطاعت إلى التبليغ سبيلا .

---

(١) منهم أستاذنا الكبير محمد عبد الله دراز فى كتابه : « المختار من تيسير الوصول » وقد انتفعنا به فى شرح هذا الحديث .

والعجب أنا لانغار على دعوتنا وهى دعوة الحق ، معشار ما نرى ونسمع من نشاط الذين يسمون أنفسهم بالمبشرين ، وينفقون فى محاربة دعوتنا كل عام مئات الملايين ! ! فيا ضيعة الحق بين الغفلة والجهالة ! !

* * *

أما بعد ، فلهذا الحديث صلة وثيقة ببحث « جزاء الصالحات » الذى بدأناه فى الجزء الثانى من عامنا هذا ، كما له صلة وثيقة كذلك بالبحث فى « أهل الفترة » وكنا وعدنا القراء بأن نتحدث إليهم فيها ، إجابة لرغبات جاءتنا من العراق . . . غير أنا وجدنا من سبقنا إلى الإفاضة فى هذا البحث ، قديما وحديثا ، مما يجعل كلامنا بعده حديثا معادا .

فإلى هؤلاء الذين رغبوا ملحين أن نتكلم فى أهل الفترة عامة ، وأبوى النبى صلى الله عليه وسلم خاصة - نسوق هذه المراجع السهلة اليسيرة :

١ — روح المعانى للعلامة الآلوسى العراقى فى تفسير قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

٢ — مجلة الأزهر فى مجلدها الثامن ص ٦٠٦ فى « الدعوة إلى الله تعالى وأهل الفترة » للأستاذ الجزيرى ، محرر السنة حينئذ .

٣ — مجلة لواء الإسلام فى جزئها الأول ، جزء رمضان المبارك ، من عامنا هذا ، وقد تناولت فى ندوتها بحثا فى الدعوة والفترة مستفيضا .

أما نحن فقد اكتفينا إذ كفينا . والسلام على من اتبع الهدى ، ومن إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ؟

طه محمد الساكت

الآلام

ما أشبه آلام الإنسان بألم الطفل المدلل : تراه يحزن لكثرة ما يفرح ، ويحول ابتسامه دموعا فى عينيه فيتغير فى صورته دون أن يتغير فى معناه ، فيضحك باكيا . ويشكو فتكون شكواه طريقة مرح فى غير شكلها . ويكون فى نفسه معنى واحد ، ولكن وجهه الغض اللين يضع لهذا المعنى أساليب مختلفة هى أنواع من ألعاب الطفولة .

مصطفى صادق الرافعى

الدخيل وكتب التفسير

— ٩ —

... ومن الإسرائيليات والموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير كثير مما يتعلق بأحوال المبدأ والمعاد وأسرار الوجود وأسباب الكائنات ، مما جاء بعضه مرفوعاً وبعضه موقوفاً على الصحابة والتابعين . وذلك مثل ما ذكروه في عمر الدنيا وأنه سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بعث في آخر الألف السادسة ، فقد ورد ذلك مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حكم عليه الإمام أبو الفرج ابن الجوزي بالوضع ووافقه غيره ، كما جاء بعضها موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال السيوطي فيها : إنها صحيحة ، وعلى تسليم الصحة إلى ابن عباس فهي من الإسرائيليات التي تحملها ابن عباس وغيره عن مسلمة أهل الكتاب ، وهذا لا ينافي كونها باطلة في نفسها . وتحديد عمر الدنيا بهذا القدر من مفتريات اليهود ومزاعمهم الكاذبة ، حتى لقد كانوا يقولون : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » عن كل ألف من عمر الدنيا يوم من أيام الآخرة ، وقد أكذبهم الله سبحانه في هذا حيث قال : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون » [سورة البقرة الآية ٨٠] .

وماذا يقول المنتصرون لمثل هذه الروايات الباطلة أمام ما ثبت من الأدلة المتكاثرة على أن عمر الدنيا أضعاف ذلك وأن التمسك بمثل هذه الروايات باسم الدين أضر على الدين من طعن أعدائه فيه . ولو أن النبي ﷺ بعث في آخر الألف السادسة لكانت القيامة قد انقضى زمنها ، فظهر أن الواقع والمشاهدة يكذبان ذلك . ومن ذلك ما ذكره الثعلبي وذكر نحوه القرطبي عند تفسير قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » [الإسراء الآية ١٢] . فقد ذكر حديثاً عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله لما أبرم خلقه فلم يبق من خلقه غير آدم عليه السلام خلق شمساً من نور عرشه . فأما ما كان في سابق علم الله أن يدعها شمساً فإنه خلقها مثل

الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها ، وأما ما كان فى سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمراً فإنه خلقها مثل الشمس فى الضوء ، وإنما يرى الناس صغرهما لشدة ارتفاعهما ، ولو تركهما الله كما خلقهما فى بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، ولكان الأجير ليس له وقت يستريح فيه ، ولكان الصائم لا يدرى متى يصوم ومتى يفطر . . . فأرسل جبريل فأمرّ جناحه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فمحا عنه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله : (وجعلنا الليل والنهار آيتين) . فالسواد الذى ترونه فى وجه القمر إنما هو أثر ذلك المحو . وفى إسناد الثعلبى نوح بن أبى مريم وهو وضاع كبير ، وقد حكم عليه ابن الجوزى بالوضع [1] وفيه من الركاكة اللفظية والمعنوية ما يشهد بذلك . ومما يشهد باختلاق مثل هذه المرويات أن رسول الله ﷺ ما كان يتعرض للكونيات بهذا التفصيل . ولما سئل عن الهلال لم يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر ؟ أجاب بالفائدة فقال : « هى مواقيت للناس والحج » ، وهو من الأسلوب الحكيم ، إذ توجيه الناس إلى الاعتبار بالغاية والفائدة خير وأجدى من بيان السبب والعلة ، وليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل كما يصنع أهل الفلك والهيئة .

وترك مثل هذا للزمن كى يتوصل إليه البشر بعقولهم واجتهادهم وبحثهم أولى ، ولا سيما وأنه لا يتوقف على معرفة الناس لمثل هذه التفصيلات الفلكية فائدة دينية ، بل قد يكون فى ذكرها على ما هو المعروف فى علم السنن الكونية فتنة لبعض العقول الضعيفة التى لا تستسيغ مثل هذه التفصيلات فى هذا الزمن ، والإسلام فى مثل هذا حكيم كل الحكمة ، وصدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث يقول : « ما أنت بمحدث قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » . والقرآن والسنة حينما يتعرضان للآيات الكونية سفلية أو علوية يكون مقصدهما الأسمى انتزاع العبرة والاستدلال بما أودع فيها من الدلائل على وحدة الصانع جل وعلا وقدرته وعلمه وحكمته وسائر صفاته العلية واستحقاقه للعبادة ، والقرآن لم ينزل ليكون كتابا تبسط فيه قواعد العلوم الدنيوية وتفصيلاتها على غرار ما يصنع فى كتب الهيئة والفلك وسنن الكائنات والتاريخ وغيرها ، وإنما نزل ليكون كتاب هداية وإرشاد وتبشير وإنذار ، وليكون المعجزة العظمى والآية الباقية للنبى على وجه الدهر ، فهو

---

(١) اللآلىء جزء أول ص ٢٤ وما بعدها .

لا يمس من الكونيات والعلوم والمعارف إلا القدر الذى يفيد فى هذه المعانى السامية التى لأجلها نزل .

ويعجبنى فى هذا المعنى ما ذكره الآلوسى عن بعض الفضلاء حيث قال : « إنه لم يجىء فى ترتيب الأجرام العلوية والسفلية وشرح أحوالها كما فعل الفلاسفة عن الشارع شىء ، لما أن ذلك ليس من المسائل المهمة فى نظره عليه الصلاة والسلام ، وليس المهم إلا التفكر والاستدلال بها على وحدة الله وكماله جل جلاله » [تفسير الآلوسى جزء ١٣ ص ٩٩] .

* * *

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين فى غروب الشمس وأنها إذا غربت ابتلعها حوت ، ومايذكرونه فى تعليل برودة مياه الآبار فى الصيف وسخونتها فى الشتاء ، فقد روى - زوراً - أن خزيمة بن حكيم السلمى سأل رسول الله ﷺ عن سخونة الماء فى الشتاء وبرودته فى الصيف ، فقال : إن الشمس إذا سقطت تحت الأرض سارت حتى تطلع من مكانها فإذا طال الليل كثر مكثها تحت الأرض فيسخن الماء لذلك ، فإذا كان الصيف مرت مسرعة لا تلبث تحت الأرض لقصر الليل فتبت الماء على حاله باردا ، وذلك ومثله مما لانصدقه ولا يعقل وروده عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وما كان ليتكلم كما قلت آنفا فى الآيات الكونية والفلكية بهذا التفصيل .

وفى هذا التعليل من التهافت والسذاجة ما لايليق بعاقل فضلا عن أعقل العقلاء ، وهو تعليل باطل ولا يتفق هو والمقررات العلمية الثابتة التى كشف عنها تقدم العلوم والمعارف البشرية ، والإسلام قد منى فى عصوره المختلفة بأناس يتسمون باسمه وهم يحملون له فى نفوسهم المريضة الضغن والحقد والكيد : كالباطنية وأضرابهم ، وقد تفننوا فى الكيد له واحتالوا فى ذلك ماشاء لهم الاحتيال ، ولم يمكنهم أن يدخلوا فى القرآن ما ليس منه ، فسلكوا فى تفسيره وتأويله المسالك الفاسدة ، وأيدوا تفسيراتهم الباطلة بنسبة مثل هذه الخرافات إلى المعصوم ﷺ ، ولكن الله الذى تكفل بحفظ كتابه ودينه قيض لهم من علماء الأمة من كشف اللثام عن أباطيلهم المقنعة ، وهكذا شاؤا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مشكلة

أوقات الفراغ

من المفهوم أن نظام الحياة فى المجتمع اقتضى ألا يواصل الأفراد العمل ليل نهار لا يستريحون ولا يهدأون ، فخصصت للعمل ساعات ولراحة الأفراد ساعات أخرى ، تتمثل فى العادة فى أوقات الأصيل والمساء والليل من كل يوم إذا كان العمل فى صبيحة النهار وضحاه ، فضلا عن أيام العطلات الأسبوعية والدورية وأيام الأعياد وعطلات المناسبات . وهذا التخصيص وذلك النظام لا يقتصران على طبقة الموظفين فحسب ، بل يتعداه إلى جميع الطبقات فى الأمة من تجار وصناع وغيرهم ، كذلك نجد بعض فئات تتمتع ببحبوحة من أوقات الفراغ أكثر من سواها من الفئات ، ومثال ذلك التلاميذ وطلاب العلم فى المدارس والمعاهد والجامعات ، وفضلا عن ذلك نجد فى البلاد الزراعية طبقة الزراع والفلاحين التى تعمل فى مواسم الزرع ، ثم يعتورها فراغ طويل لمدة قد تطول إلى حين الحصاد ، ذلك الفراغ الذى يطلق عليه علماء الاقتصاد اسم البطالة المقنعة أو الغير المنظورة .

وقد تبدو المسألة بسيطة لأول وهلة ؛ لأن الإنسان يعتقد أن هذه الأوقات قد خصصت لراحة الشخص ولسعادته ، ولكن المسألة تتعقد وتتضح أهمية بحثها ، إذا تبينا أن الوسائل الكفيلة بإراحة الشخص وإفادته من أوقات فراغه تلك هى وسائل قاصرة فى الكثير من الأحيان عن الوصول إلى الهدف الذى يراد منها ، ومما يزيد فى خطورة المسألة العلم بأن أوقات الفراغ وكيفية قضائها تؤثر تأثيراً كبيراً على العمل والإنتاج ، وبالتالى تتأثر الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بمدى الإفادة من هذه الأوقات وكيفية استغلالها وتوجيهها لإسعاد الفرد والمجتمع . وقد لا نجد تدليلا على مدى خطورة أوقات الفراغ وأثرها فى أوضاع المجتمع خيراً من التذكير بأن إحدى الوزارات فى فرنسا قد ألفت ذات مرة بشأن علاج مشكلة أوقات الفراغ بالنسبة لطبقة العمال .

مكتبتنا العربية

ولما كان العمل والإنتاج من اختصاص السلطة العامة والمنتجين وأرباب الأعمال ، فقد اهتم هؤلاء بتنظيم العمل تنظيما شاملا ، ولكنهم تركوا أوقات الفراغ للأفراد ينظمونها وفق هواهم وأمزجتهم ، لأنهم اعتقدوا أنها مخصصة للراحة والسعادة والهناء العائلى ، وتلك أمور شخصية تتعلق بالحرية الفردية المكفولة للفرد فى المجتمع ، وكان من نتيجة هذه الفكرة الساذجة أن عجز الأفراد عن الإفادة من أوقات فراغهم واستغلالها ، وبالتالى ظل تأثيرها فى العمل والإنتاج ورقى البلاد قاصراً ضئيلا ، واتبع الناس فى مختلف فئاتهم وطبقاتهم وسائل ملتوية لقضاء هذه الأوقات ، بل أصبحت هذه الأوقات بالنسبة لكل منهم بمثابة مشكلة خاصة يرزح تحت عبئها ويحاول قضاءها بأى نهج وعلى أى وجه وفى أى نطاق ، وليس من ضابط ولا موجه ولا هاد سواء السبيل .

* * *

ومن هنا وجدت المقاهى المزيد من روادها يوماً بعد يوم ، من الهاربين من بيوتهم الراغبين فى قضاء فراغهم فى لعب النرد والطاولة ، أو فى الجلوس لمتابعة الرائحين والرائحات والغادين والغاديات حتى يمر من الليل نصفه ، فيقومون إلى مراقدهم فى ملل وسأم وقد شربوا الكثير من المثلجات أو المكيفات . ومن هنا كذلك ازداد الإقبال على الخمور ؛ لأن الشخص من هؤلاء إذا شرب واستطاب استطاع أن يقضى فراغه بعقل مخمور وجسم مكدود فينعم بالخمر والكد ويهرب من الواقع إلى الخيال ، ومن هنا ازداد الإقبال على المخدرات وتعاطيها فضلا عن الخمور لأن فى تعاطيها كما يتوهم الناس التمتع بعالم من الأحلام . وكثيراً ما يلجأ الشبان فى قضاء تلك الأوقات إلى أحلام اليقظة يقضون فيها أوقاتهم دون وعى وينعمون فيها بما يهيؤه لهم الخيال من تحقيق الآمال البعيدة والأمانى العذاب ، حتى إذا صحوا إلى أنفسهم أو انهمكوا فى أعمالهم وتمثل أمامهم الواقع المرير ، اضطربت منهم النفوس وشردت العقول واستقبلت بعضهم مستشفيات الأمراض العقلية إذا أودت أحلام اليقظة بما بقى من عقولهم ، واستقبلت لآخرين أبواب السجون إذا طرقوا - بما تسبب لهم من اضطراب وقلق - أبواب الإجرام والتخريب .

وانتهز المغرضون فرصة هذه الفوضى ، فكتبوا الأقاصيص الرخيصة ونشروا الحكايات المثيرة ليقبل عليها من هنا وهناك هؤلاء الشبان وبخاصة العمال وأنصاف المثقفين لقضاء فراغهم فى قراءتها واستيعابها وتمثيلها فى حياتهم وتقليد أبطالها فى الخلاعة والمجون والفوضى والإفساد ، وانصرف الشبان يقضون عطلاتهم الطويلة فى التسكع فى الطرقات

ومغازلة النساء ، وهب الكثير من المراهقين يجدون بغيتهم فى التسلط وحب الفوضى وإظهار البأس والاستهتار والتخريب ، فى مشاهدة الأفلام البوليسية التى يهتمون كل اهتمام بحركات أبطالها المجرمين وضرباتهم وخروجهم على الأوضاع ووسائلهم فى الإجرام والإفساد ، فيتشبعون بهذه الحركات والضربات وتلاقى هوى فى نفوسهم وغرائزهم ، فيحاولون تقليدها واحتذاءها فى حياتهم . أما الفلاح الذى أسلفنا أن أوقات فراغه أطلق عليها الاقتصاديون اسم البطالة المقنعة ، فوسائله فى قضائها قاصرة ، فهو يقضيها فى كسل وخمول ، تراه ينام تحت نخلته ليل نهار ، لا يدرى ما يفعل سوى طعام يأتى عليه واحتساء شاى أسود اللون يتلذذ به ونوم فى الظل مدة من النهار يغط فيه ! وهناك طبقة العمال التى تكون فى أوقات فراغها نهباً للبؤس والشقاء والتسكع هنا وهناك فى الدروب والمنعطفات ، ناهيك بما يسببه كل ذلك من ارتكاب جرائم الأموال من نصب وسرقة وجرائم الاعتداء على النفس بسبب كثرة المشاجرات والمشاحنات التى يسببها تعطل الكثيرين منهم فى أوقات الفراغ .

* * *

على أن تلك الفكرة الساذجة حول ترك أوقات الفراغ للأفراد يقضونها حسب هواهم دون تدخل من الحكومات لتنظيمها وتنظيم قضائها وإيجاد الوسائل الفعالة لاستغلالها والإفادة منها ، قد أضحت فكرة غير ذات موضوع ، وصارت مسألة أوقات الفراغ مسألة حيوية هامة ، تهتم بها الحكومات وتضع لها البرامج ولا تتجاهلها فى مشروعاتها القومية وفى توزيعها للإنفاق القومى فى شتى نواحى الحياة .

ويمكن القول بأن هذه الفكرة الحديثة تقضى بأن على الدولة واجباً بأن تهيء السبيل لقضاء وقت الفراغ فى متعة وسعادة يفيد منها الشخص جسميا وروحيا ، ليستطيع أن يتابع عمله وقت العمل بجد وحماسة وروح معنوية عالية . ومن الحلول التى تتبع بالنسبة لطبقة العمال ، تخفيض أجور السكك الحديدية فى أيام العطلات الأسبوعية لهم ولعائلاتهم بين مناطق عملهم والضواحى حيث يقضون هذه العطلات ، مع تنظيم هذه الضواحى وإنعاش حالة حدائقها ومتنزهاتها وخفض أثمان المشتريات فيها ، بل وتوزيع بعض الحلويات والمرطبات بأثمان زهيدة ، حتى يستطيع العمال وعائلاتهم أن يستمتعوا بوقت طيب يحسون فيه برد السعادة فيعودوا إلى العمل بنفس وروح جديدين يبعثان الحياة فى الإنتاج ويزيدان من قدرة وطاقة العمل ، والمفهوم أن مثل هذه الإجراءات معناها بالأسلوب الاقتصادى

رفع مستوى معيشة طبقة العمال : لأن خفض أجور القطارات وتهيئة المتنزهات وخفض أثمان الحلويات والمرطبات معناه فى الواقع زيادة أجورهم زيادة غير منظورة ، وهذه ترفع مستواهم المعيشى كما لا يخفى ! .

وساهمت الشركات والمشروعات الكبيرة فى تنظيم أوقات فراغ العمال ، فأشاعت فى نفوسهم الروح الرياضية والجماعية ، وهيأت لهم كافة وسائل الترفيه ، فأنشأت الأندية وقاعات السينما وحمامات السباحة وضروب التسلية والرياضة الأخرى ، وتعمل فى الوقت نفسه على تهيئة السبيل لممارسة هوايات مفيدة ومهن خفيفة حب ميل وهوى كل عامل ، وكذلك زوجات العمال يتدربن على أشغال الإبرة والحياكة وتشرف عليهن مشرفة اجتماعية مثقفة توثق صلاتها بهن وبعائلاتهن أوثق الاتصال لتوجه حياتهن وأسرهن التوجيه الحسن .

أما التلاميذ والطلاب فقد عملت الحكومات على توجيههم فى أوقات فراغهم التوجيه السليم ، فأنشأت لهم أندية خدمة الشباب ، وافتتحت المدارس للتلاميذ أندية للنشاط الاجتماعى والثقافى والرياضى ، تحتوى برامجها على حفلات السمر والتسلية ، وتقديم الأفلام السينمائية الثقافية والجغرافية ، والقيام بالرحلات المختلفة لزيارة معالم الأقطار والآثار والوقوف على المشاريع العمرانية والزراعية والصناعية ، وفتح المكتبات وقاعات المطالعة وبث روح القراءة فى التلاميذ للاطلاع على الكتب الأدبية والدينية والثقافية والقصص الممتعة .

* * *

وتعمل الحكومات فى الوقت الحاضر على زيادة رفاهية الشعوب ، وذلك بإيجاد وسائل التسلية والمرح لقضاء أوقات فراغ الأفراد ، فأخذت تنشىء المتنزهات والمسارح ، وتضاعف الإنتاج السينمائى الذى يلاقى رواجا كبيراً ، وله تأثير قوى فى الناس ، الأمر الذى يدعو إلى توجيهه وجهة التثقيف والتهذيب . وأن تكون أهدافه ترقيق المشاعر وتهذيب الوجدان وزيادة المعلومات وتوجيه الشعب وإرشاده القومى .

وأما القراءة فهى وسيلة ناجحة ومهمة كل الأهمية لشغل أوقات الفراغ ، وتعمل المجالس البلدية فى بعض البلاد الراقية على إنشاء المكتبات العامة فى المدن والقرى ليغشاها الجمهور للقراءة والاستعارة . وتحشد فيها المئات من الكتب الشعبية لينتفع بها الجمهور بالمجان ، وتنشىء السلطة العامة هيئة تشرف على ما يصدر من كتب ودوريات من مهامها توجيه

الإنتاج الفكرى والأدبى وجهة جديدة تحقق للشعب الرفاهية فى القراءة الممتعة والثقافة الواجبة والأفكار الناضجة وتقوية الشعور القومى وبث الروح المعنوية واستثارة الغرائز الحيوية فى الشعب للعمل والإنتاج . ويلحق بالكتب والدوريات محطات الإذاعة ، ففى سبيل تهيئة الوسائل الفعالة لإفادة الفرد والمجموع من أوقات الفراغ يجب تنظيم الإذاعة وتقديم البرامج الحافلة التى تمتع الأفراد بسماعها وتغذى روحهم وإحساسهم بالغناء الرقيق والشعر القوى والفكاهة الخفيفة ، وتطعم ثقافتهم بالجديد المفيد من المعلومات والأنباء والأفكار .

وفيما يتعلق بالفلاحين والزراع ، فإن الفكرة الحديثة تقضى بالإفادة المطلقة من أوقات فراغهم بدل ضياعها هباء فى ظلال النخيل وغطيط النوم ، ويكون ذلك عن طريق بعث الصناعات الريفية والاهتمام بها لزيادة الإنتاج القومى ، وإنشاء الأندية الريفية التى تقدم لهم الإرشادات الزراعية والصحية والأفلام التوجيهية الممتعة ، والعمل على محو الأمية بينهم وتخصيص برامج لإرشادهم بالإذاعة اللاسلكية ! ؟

أحمد طه السنوسى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

السواجع

قل للسواجع فى الغصون ترنمى ... وصلى فنونك بعد طول تجاف
العرس حولك والعروس ازينت ... لم يبق غيرك ، فأذنى بزفاف
زيدى على النسق القديم ، وجددى ... نسقا يجدد هزة المشتاف
زمن القديم مضى ، وليس بمنصف ... من لا يزيد ذخائر الأسلاف
الفن وجدان العصور ، وصورة ... مما يسيغ العالم المتنافى
حذق المنقب يستقل بما انطوى ... من سره ، وبراعة الكشاف
صلف المبرز فى مذاهب غيره ... إذعان ممتهن ، وعجز مضاف

أحمد محرم

أعلام الاسلام

ابراهيم بن أدهم

البطل الزاهد الشهيد

روت كتب المتصوفة عن إبراهيم بن أدهم أسطورة جذابة بهيجة ، فقد جعلته أميرا من أعرق بيوت الملك بفارس تحيط به أبهة السلطان وجلال التاج ، ويسير فى موكب فخم وحوله الفرسان والحراس ، وقد اشتغل بمباهجه وملاهيه عن شئون الملك ومشاغله ، فما تفقد كتيبة زاحفة وما أسكن ثورة هائجة ، بل كان يتقلد سيفه ويهيئ أقواسه ونباله ويركب جياده السريعة ، ثم يتوغل فى البيداء الشاسعة ليصارع الآرام والوعول ويتعقب الثعالب والوحوش ، فإذا أتعبه الصيد وأضناه الكر والهجوم نصبت له خيمة مطرزة وتجمع حوله أصدقاؤه وندمانه فتساقوا كئوس الرحيق وسمعوا أعذب الالحان ورقصت أمامهم القيان حتى إذا قضوا أربا من الراحة والمتعة رجعوا إلى « بلخ » فى موكب حاشد وجمع عظيم .

وشاءت الأسطورة أن تقول إنه خرج يوم جمعة إلى الصيد ، وحوله حاشيته فى يوم مجموع له الناس ، وكان مؤذن الجمعة ينادى إلى الصلاة ، فما اهتم بفريضة ربه ومضى إلى ملاعبه يترنح فوق جواده والناس يتهامسون فى غضب عن هذا الخليع الماجن الذى يجيب داعى الشيطان فى وقت تتفتح فيه أبواب الرحمة فى السماء ، ويمضى الفارس إلى صيده فيصرع الظباء ويتوغل فى الغاب متحرشا بوعوله ويعافيره ، حتى إذا بلغ منه الجهد مبلغه ركن إلى صخرة عالية فجلس يستريح منفردا عن أصحابه ، وإذا هاتف يملأ عليه سمعه ويناديه : يا إبراهيم ، ما لهذا خلقت . يا إبراهيم ما بهذا أمرت . « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » ثم ينقطع الهتاف وقد تغلغل صداه فى أعماق الامير الفارس فغير مجرى حياته تغييراً حاسما وحول أفكاره من طريق إلى طريق ، فرجع إلى حاشيته منكسرا

مكتبتنا العربية

ذليلا ، وودع رفاقه توديعاً حاراً وهام على وجهه يضرب فى فجاج الأرض وتتقاذفه المطارح النائية ، ووجد راعيا للغنم فخلع عليه حلته الجميلة وقد رصعت بخالص الذهب وزينت بأنضر اليواقيت ، وأخذ منه كساءه الصوفى الخشن، وعصاه الخشبية الطويلة ، ومضى يطوف بالأرض زاهدا متورعا ، فحج البيت الحرام ، وطوف بالعراق والشام ، وألقى مواعظه الدينية المؤثرة ، وصحب الأئمة من الفقهاء والعلماء حتى وافاه الأجل وقد بلغ من الورع والتصوف والمحبة مبلغاً يضعه فى قمة الزهاد وذروة الناسكين .

* * *

تقول كتب المتصوفة هذه الأسطورة ، وينقلها كاتب عن كاتب مضيفاً إليها ما يسمح به خياله من تهاويل ، وقد يستعين بأبيات شعرية يزعم أن إبراهيم قرأها على جدار أو قبر أو نظمها فى سكرة هيام . ويجىء المستشرقون فيبحثون هذه الأسطورة ويتساءلون ، هل كان لعائلة أدهم سلطان فى إمارة بلخ ؟ وهل عرف تاريخ الفرس أحدا من ملوك هذه العائلة سواء « ببلخ » أم غيرها من المقاطعات ، فإذا صمت التاريخ عن الإجابة الشافية حكموا أن هذه الأسطورة قد صيغت على منوال قصة « بوذا » إذ فر من سلطانه وترك الإمارة والقصر ، ليبشر مذهبا ويملأ قلوبا . ثم يتوسعون فى ذلك فيعقدون صلة وثيقة بين التصوف الإسلامى والتصوف الهندى ، ويردّون كل زهد فى الإسلام إلى عناصر أجنبية طرأت عليه وأثرت فيه دون أن يكون منبعها الأصيل كتاب الله وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ، ويمضون فى طريقتهم إلى أبعد مدى فيقرنون الشبيه بالشبيه ، ويلائمون بين تنسك « بوذا » الهندى وعزلة ابراهيم الفارسى .

ولئن ثبت للباحث فى تاريخ المتصوفين تأثر بعضهم بمذاهب صوفية لاتنبع من الإسلام ولاتتصل بأسبابه فى شىء ، فإن هذا البعض لاينتمى إليه ابن أدهم فى قليل أو كثير ، فقد كان بعيدا عن أحوال الجذب والتواجد والهيام . ولم يتطرق إلى البحوث النظرية كما فعل الحلاج والسهروردى وابن عربى بل كان تصوفه زهدا خالصا يترسم فيه مبادىء الإسلام . فهو يتمسك بالنصوص القرآنية ويروى الأحاديث النبوية ، ويصدر تعاليمه لمريديه فى نطاق قرآنى تدعو إليه الفطرة الإسلامية وتتقبله العقول فى غير عناء كبير

أما نشأة إبراهيم فيمكننا بمراجعة الروايات المختلفة فى تاريخه وترجيح ما تقوم عليه الأدلة الوثيقة أن نجزم بأنه عربى قح ، نشأ فى سلالة عربية خالصة ، فحين زحفت الجيوش

الإسلامية فى فتر متعاقبة إلى خراسان وتم فتحها على يد الأحنف بن قيس ، وقتيبة بن مسلم الباهلى ، أخذت الأسر العربية تنزح إلى هذا الإقليم الخصيب ، وتنتشر بذراريها فى بلاد ما وراء النهر ، ومن هذه الأسر الكثيرة أسرة الصوفى الزاهد إبراهيم بن أدهم بن منظور ابن زيد بن جابر التيمى العجلى ، فقد نزح أجداده إلى بلخ فى وقت يتعذر تحديده ووجدوا من رخاء العيش ما مكن لهم فى الثروة فرزقوا نصيباً موفوراً من المال ، ونشأ أبناؤهم نشأة مترفة ناعمة فوجدوا القصور والضياع والعبيد ، وغمروا أنفسهم بالمتاع والبهجة ، وكان والد إبراهيم رغم ثرائه الواسع صالحاً خيراً يتبع العبّاد والزهاد ويحج البيت الحرام فى أكثر الأعوام ، وقد أورث فتاه إبراهيم مالا طائلا وجاهاً مديداً فترعرع فى أفياء النعيم ، وسحب مطارف البهجة فى شبابه ، ثم أذن الله له بالفوز فطاف عليه طائف من تنسك والده وتقواه ، ثم اتسع فى زهده شيئاً فشيئاً حتى تيقن أن المال ظل زائل ومشغلة للنفس ، فعزف عن بريقه الخادع ، واحتقر ما يغرق فيه من متعة وجاه ، ثم تجرد عن الزينة والزخرف بعد أن فكر ودبر ، واستأذن أباه فى الرحيل عن خراسان إلى العراق ، وكانت أشواقه تدفعه إلى مكة مهبط الرسالة فترك العراق إلى أم القرى ووجد بها كثيراً من أئمة الفقه والحديث والتصوف ، فاصطحب الفضيل بن عياض وسفيان الثورى ومالك بن دينار وغيرهم ممن لقيهم فى رحلاته الكثيرة حتى امتلأت نفسه اطمئنانا وسكينة ، وأفعم قلبه نوراً وعرفانا .

* * *

ولم يكن إبراهيم بدعا فى تنسكه ، فقد كان معاصره شقيق البلخى ذا دنيا واسعة وجاه عريض ، فاعتزل الثروة والضياع وتكلم فى التصوف والزهد ، وكأن أحدهما اقتدى بصاحبه ، وهما من بلدة واحدة ، فسار على منواله مما يعز وجوده بين أرباب الثراء .

ولقد كان لإبراهيم رسالة خالدة تكشف حقيقة الزهد وتقربه مثالا ملموساً للجميع ، فقد زهد زهداً خالصاً فيما يملك ، ولم يكن كهؤلاء الذين يتظاهرون بالورع ولو برقت لهم الحياة بشعاع كاذب لاندفعوا فى تيارها الخادع . وكان من تمام رسالته أن يأكل من عمل يده ، فلا يدع نفسه عالة على عشاقه ومريديه ، وقد اشتغل بستانيا أجيراً يكدح يومه الطويل ليقتات من طريق حميد ، وهنا يظهر تأثره بتعاليم الإسلام ، فهو دين عملى ينبذ التواكل ، وليست فيه رهبنة تدفع صاحبها إلى العزوف والانطواء ، لذلك نجد ابن أدهم يتشدد فى تحرى المكاسب والمآكل ويرسل وصاياه الكثيرة فيقول : أطب مطعمك ولا عليك ألا تقوم

الليل أو تصوم النهار ، كما كان يرفض رفضاً باتاً أية هدية تقدم إليه لما يندرج تحتها من معانى التواكل والخنوع ، ولو فهم الناس الزهد كما فهمه ابراهيم لعطف الغنى على الفقير بما يزيد عن حاجته ، ولاجتهد الفقير فى تحصيل رزقه دون أن يمد يده لإنسان ، وبذلك يستشعر معانى العزة والكرامة ويعيش فى ملإه عالى الرأس مرتاح الضمير .

وقد تنبه إلى ما انتشر لدى المتواكلين من انقطاع للعبادة وانتظار للعطاء ، فعد ذلك تسولا سافراً تنأى عنه الرجولة ويمقته الإسلام . فقال : المسألة مسألتان : مسألة على أبواب الناس ، ومسألة يقول الرجل فيها : ألزم المسجد وأصلى وأصوم وأعبد الله ، فمن جاءنى بشىء قبلته ، فهذه شر المسألتين . وهذه النصيحة الحازمة تفضح هؤلاء المترهبين فى دين لا يعرف الرهبنة ، فهم شر من المتسولين لأنهم يسترون تسولهم البغيض بستار من التبتل والعبادة ، مع أن الإسلام يرى فى سعى المؤمن لرزقه من طريق الحق عبادة خالصة يكافأ عليها بالمثوبة عند الله ، ولن يضير المسلم أن يكون فقيراً كادحاً ، وإنما يضيره أن يتصيد المال دون جهد يبذل أو سعى يتاح ، ونحن لا ندعو غنياً إلى اعتزال ماله كما فعل ابن أدهم ، ولكننا نتخذه مثلا لقوة الإرادة وكبت الأهواء وخذلان النفس فى مضمار عنيف تتجاذبه المطامع والمغريات ، كما يصور لنا هوان المال وضعته لدى النفوس النبيلة ، فلا تتكالب عليه فى عنف أو تبخل بحق الله فيه ، ومن يدرى لعل ابن أدهم قد تخلص من ثروته لوجود شبهة فى عقله ، من طريقة جمعه ، فحسم الشك باليقين .

ولم يطل مقام ابراهيم بمكة فارتحل ثانية إلى العراق ، وقابل أبا جعفر المنصور ببغداد ووعظه فى غلظة ، ثم توجه إلى الشام واتخذها موطنا دائما ، ولكن لواعج الحنين كانت تعصف به إلى موطنه بخراسان ، فيسائل أصحابه عن بلخ ويرحب بمن يفد إليه من فارس ، وما زالت الأوطان مألف القلوب إذا شط المزار .

* * *

كانت إقامة ابن أدهم بالشام خيراً وبركة على أهل مدينة صور ، فقد خالطهم وصادقهم ، واندمج فى مجتمعهم يشير بالرأى ويقدم النصيحة وينبسط إليهم فى شئون الحياة ، حتى جن به العامة وعظموه تعظيما كبيراً ، ورووا عنه الخوارق الكثيرة ! وهى فى كثرتها الزائدة تدل على سمو قدره ، وارتفاع أوجه .

هذا ـ وقد كان الأوزاعى إمام أهل الشام يكبر إبراهيم ويشيد بلباقته ويعجب باندماجه فى قومه وخبرته بالنفوس ودعوته إلى الله بالحكمة والقدوة ، فهو المثل الحميد لصاحب الورع فى الإسلام ، وقد كان حبه لله حباً إسلامياً خالصاً يبرأ مما اختلط بالتصوف بعد ذلك من مذاهب فلسفية حلولية واتحادية ، فهو شبيه فى زهده وعبادته بالحسن البصرى ورابعة العدوية وأضرابهما ممن خلص لهم الزهد الإسلامى خلوصاً طاهراً ، فطريقتهم إلى الله كتابه الواضح وهدى نبيه الكريم .

وكان ختام حياته مقطعاً رائعاً لجهاده الكريم ، فقد أغار الروم على بعض الثغور الإسلامية فحمل سيفه وارتحل إلى الميدان ، ذائداً عن ممالك الإسلام ، وصمد للكفاح والنضال حتى رزق الشهادة فى معركة حامية سنة ١٦٠ هـ ، وحزن عليه المسلمون حزناً شديداً فحملوه إلى (صور) ودفن بموضع يختلف المؤرخون فى تحديده ، وقد حكى ابن بطوطة أنه زاره فى مدينة (جبلة) وقد أقيمت حوله زاوية يعمرها الصالحون ، كما رثاه ابن أخته محمد بن كناسة الكوفى رثاء حزيناً يرسم شمائله العاطرة ويبكى جلاله الصريع .

محمد رجب البيومى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حيي بن أخطب فى ساعة الموت

لما أتى بحيي بن أخطب ـ مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ـ ليقتل بعد غزوة بنى قريظة ، نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل .

ثم أقبل حيي على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل .

ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبى .

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

كلنا مكفوفون

أخي المكفوف البصير ...

سلام عليك من أخ لك مبصر كفيف . إنه لا يقول هذا مصانعة لك أو مجاملة أو مخادعة ، بل يقوله حقيقة واقعة ، وإن كانت مستترة مبرقعة ؛ فكلنا فى هذه الحياة مكفوفون ، وإن اختلفت جهة الكف [1] لدى بعضنا عنها لدى البعض الآخر ؛ وكلنا فى هذه الحياة يجب علينا أن نبصر ، وأن نجاهد هذا الكف بكل ما استطعنا من حيلة ، وبجميع ما أطقنا من وسيلة ، حتى نكون فى مجتمعنا بصراء على الرغم مما يعترض سبيلنا من كف فى هذا الجانب أو ذاك . نعم ، كلنا فى الحياة مكفوفون يجب أن نبصر ؛ فالناس يأتون إلى هذه الحياة العريضة الواسعة ، وليس عندهم كل المقدرة التى تكفل لهم الانتصار على متاعبها ومصاعبها ، وليس لهم كل الوسائل الرشيدة المهيأة لكى تبلغ بصاحبها غاية ما يصبو إليه ؛ بل كل منهم فيه ناحية أو أكثر من نواحى النقص والقصر ، سواء أكان هذا النقص حسيا أم معنويا ، باطنا أم ظاهرا ، وهذا الوجه من وجوه النقص هو كف للمرء عن بلوغ الهدف فى ميدان ذلك النقص لو لم يوجد ، والكف فى أصل اللغة منع وحرمان وصد عن شىء وحجب عن وجهة ؛ ومن ثم لا تكون هناك مبالغة ولا مجاملة إذا قلت لك : إننا مكفوفون يجب أن نبصر ...

* * *

فى الناس من ينشأ وهو قوى البدن مفتول العضل موفور الصحة ، ولكنه هزيل العقل ضحل التفكير ، فهو إذن مكفوف فى عقله ، ويجب عليه أن يبصر فى هذا الميدان العقلى ، فيثقف ويتعلم ويحصل ما به يكون قويم التفكير سليم التدبير ...

وفى الناس من ينشأ وهو قوى العقل واسع الفكر ، ولكنه ضعيف فى خلقه ، مرذول فى طباعه ، مذموم فى خصاله ، قد علت روحه غشاوة من استغلاق الشعور وبلادة الطبع وسوء الخلق ، فهو مكفوف من غير شك فى هذه الناحية ، ومن الواجب عليه أن يبصر فيها ،

---

(١) فى المعاجم اللغوية أن الكف يدل على الحجب ، والمنع ، والنقص ، والقصر . انظر اللسان والأساس والقاموس .

حتى يبصر قلبه كما أبصرت عينه ، وحتى تضيء روحه كما أضاء عقله ، والإضاع أكبر الفائدة من هذا العقل الواسع الذى يغتر به ، دون أن يكون له قوام من مكارم الأخلاق .

وفى الناس من ينشأ كثير المال مطمئن الأحوال عزيز الجاه فى المجتمع ، ولكنه لم يرزق نعمة الإحساس بما حوله من مشاهد الطبيعة ومباهج الكون وأسرار الحياة . . . لم يرزق الاستجابة الوجدانية لما فى الحياة من آيات الروعة والجمال . . لم يرزق المشاركة العاطفية مع تلك الروح الكونية السارية خلال الحياة ، لا نراها بأعيننا ، ولا نلمسها بأيدينا ، ولكننا نشعر بها بقلوبنا الشاعرة وأرواحنا اليقظة وعواطفنا المتقدة ؛ فمثل هذا الرجل مكفوف فى ذوقه وإحساسه ووجدانه ، وهو محتاج كل الاحتياج إلى أن يبصر فيها ليستطيع التمتع بما فى الحياة ، وإلا كان ميت الأحياء ...

وهناك القوى الجسم الأمى العقل ، فهو مكفوف فى ناحية العلم ، يحتاج إلى أن يبصر بالمعرفة ، وهناك المبصر فى عينه ، المكفوف فى قلبه ، وهناك المبصر فى حسه المكفوف فى نفسه ، وهناك السليم فى عينه السقيم فى شمه أو ذوقه أو لمسه أو سمعه ، وهناك غير هؤلاء من الذين قضى عليهم نقص البشر أن ينالهم الكف فى ناحية من النواحى أو فى أكثر من ناحية ، وإن تمتعوا بالإبصار الحسى أو المعنوى فى سواها ؛ وكلهم بحاجة إلى أن يعالجوا هذا الكف ليبصروا . . .

فأنت إذن ترانى أنى لم أكن مجاملا ولا مخادعا حينما قلت : كلنا مكفوفون ، وكلنا يجب علينا أن نبصر ...

لو أحسن المرء محاسبة نفسه ومراجعتها لقال لها : ما أكثر الجهات التى أصابنى فيها كف حسى أو كف معنوى ...

هل اطلع عقلى على كل ما يجب ـ أو ما يمكنه ـ أن يطلع عليه حتى أستطيع الحكم بتبرئته من الكف عن بعض المعلومات ؟ ...

هل استطاع أدبى أو خلقى أن يحفظ حقوق الناس ، فلا يفرط فى شىء منها ، ولا يسيء إلى محاسن الأخلاق فى بعضها حتى يمكننى أن أنزهه عن الكف والحرمان من الإحسان فى بعض هذه الوجوه ؟ ...

هل تناول إحساسي الشاعر المتذوق كل ما يجمل أن يتناوله بالإدراك والسبر والتمتع، حتى أطهره من لون ما من ألوان الكف فى بعض هذه الجهات ؟ ! ...

ألا ما أقل ما عرفناه، وما أكثر ما جهلناه ! ... ما أضيق ما رأيناه، وما أوسع ما لم نره ! ... ما أخف ما أديناه من الواجبات، وما أثقل ما فرطنا فيه ! ... ما أكثر الوجوه التى أصابنا فيها الكف، حتى ليصح أن يقال عنا : إننا مكفوفون معرقون فى كف الحس وكف النفس ؛ ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ! ...

* * *

هاهو ذا السكير مثلا يدمن الخمر حتى تستبد بعقله ورأسه وجسمه، وتستبد بماله وحقوق أسرته، وتهبط به مبنى ومعنى - إلى الدرك الوضيع، وإلى أسفل سافلين : ولقد تتطلع إليه فتراه حديد البصر، عريض البدن، طويل القامة، ضخم الهامة ؛ ولعلك لا ترى فى ظاهره ما يقطع بالعلة أو المرض، ولكنك لو خبرت أمره الجسمى والاجتماعى لوجدته مكفوفا من هنا، ومكفوفا من هناك، ومكفوفا من هنالك ...

إنه مكفوف لا يدرك المصير الوخيم الذى يسير إليه، ولا يرى الهاوية السحيقة التى تردى فيها أو سيتردى عما قليل ؛ وهو مكفوف لا يشاهد تلك الأنياب الشيطانية الرهيبة التى تنهش فى لحمه وعظمه وفهمه، حتى تتركه شبحاً محطماً، أو نهباً مقسما بين العلل والأوجاع ؛ وهو مكفوف عما تسببه له بنت الحان من مصائب فى حاضره ومستقبله ومصائب فى عرضه وشرفه، ومصائب فى أصدقائه وخلانه ؛ ولو عرف السكير مثلا ما يدار ويحاك ويفعل من حوله، فى بيته وماله وسمعته، وبين معارفه وأصدقائه، وبين الكائدين له والحاقدين عليه، لأدرك أى إدراك أنه مكفوف، مكفوف، مكفوف ! !

لكأن محمدا نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام قد رمز إلى قريب من هذا حين قال : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » لأن المرء لو أدار طرفه إلى عيوبه ونقائصه، والجهات التى أصابه الكف والحرمان منها، لوجد له من ذلك شاغلا أى شاغل، ولم يبق لديه متسع من وقت أو جهد لكى يتطلع إلى عيوب سواه . . .

بل كأن القرآن المجيد قد رمز إلى مثل هذا حين قال : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » لأن المرء إذا جعل تقويم نفسه همه فقد شغلها بعمود الأمر وسناده،

وإذا ما عنى كل واحد بإصلاح نفسه فقد صلح المجتمع كله ، لأن المجتمع بناء يتكون من لبنات هى تلك النفوس ؛ ولو أن كل نفس تناولت جهة الكف التى أصيبت بها فعالجتها وأصلحت أمرها ، لتسامى شأن المجتمع وعلا . . .

* * *

وأنت يا أخى المكفوف قد شاءت لك الأقدار أن تختبرك ببصرك فذهبت به ، وبذلك أصابك الكف عن رؤية المشاهدات ، وإنه لنقص حسى ما فى ذلك شك ، وإنه لحرمان من مطلوب محبوب ما فى ذلك ريب ، ولكن ، هل يدعوك ذلك إلى اليأس ؟ . . . هل يحرمك ذلك من كل شىء ؟ . . . هل يدعوك هذا النقص الحسى فى جهة واحدة إلى إلقاء السلاح وإعلان التسليم فى الجهات الأخرى ؟ ! . . .

لا لا أيها الصديق . . . إذا كان بصرك قد كُف ، فهناك كثير من حواسك وأدوات إدراكك وإنتاجك ونشاطك لا تزال لديك صالحة للاستعمال والاستغلال وحسن التعويض ، والمعول على براعتك وتفننك ومحاولتك .

عندك يا صاحبى حاسة اللمس ، تستطيع بها الكثير والكثير ، وإن من وراء أصابعك عيناً تبصر وترى ، فأنت بهذه الأصابع تستطيع أن تكتب وأن تقرأ وأن تميز بين مختلف الأشياء . . . « ويد الضرير وراءها عين ترى » .

ألا تعرف يا صاحبى أن هناك من المكفوفين من يستطيع أن يعرف عن طريق اللمس باليد نفسيات من يلمس أيديهم ، وأن يعرف أن صاحبة هذه اليد شقيقة لصاحبة تلك اليد ؛ إلى غير ذلك من غرائب اللمس ؟ ! . . .

وعندك حاسة السمع تستطيع أن تدرك بها الكثير ، وأن تحصل بها الكثير ، وأن تتثقف عن طريقها بالكثير .

وعندك حاسة الشم يمكنك أن تأتى عن طريق تدريبها وحسن استغلالها بالعجائب والغرائب ، ولعلك سمعت عن ذلك العالم النباتى المكفوف البصر الذى يستطيع أن يميز بين الآلاف من أنواع الأزهار والرياحين عن طريق لمسها وشمها ؟ ! .

وهل جاءك نبأ المكفوفين الذين يقرأون بألسنتهم أو بشفاههم على طريقة (برايل) ؟ تلك الطريقة الخاصة بقراءة المكفوفين وكتاباتهم .

مكتبتنا العربية

لا يجولان بخاطرك أبداً أنك فقدت كثيراً ، فقد ذهب منك القليل ، وبقى بين يديك الجليل ، وأنت بحسن تصرفك واستغلالك تجعل نفسك وغيرك لا يحسون بأنك فقدت شيئا : فلا تيأس وحاول ! . . .

لقد كان أجدادنا العرب يسمون المكفوف باسم « البصير » ولعل ذلك كان منهم تفاؤلا وتيمنا ، كما سموا المهلكة « مفازة » واللديغ « بالسليم » ؛ وأكاد ألمح فى تسمية المكفوف باسم « البصير » رمزا إلى التحريض على المحاولة وعدم الاستنامة العاجزة لذلك النقص الحسى المحدود ؛ وإن المكفوف البصير ليستطيع بنشاطه ومثابرته أن يكون « بصيراً » يبصر بيديه ، ويبصر بسمعه ، ويبصر بشمه وذوقه . ويبصر بقلبه وروحه ؛ وصدق القرآن الكريم : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

أيها الصديق المكفوف البصير . . . لايزال الطريق أمامك مفتوحا ، ولا زالت قدماك قادرتين على الخطوات ، فلا تكف عن المسير . . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الكتاب

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

ما رأيت بستاناً يحمل فى ردن ، وروضة تنقل فى حجر : ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء . ومن لك بمؤنس لاينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى . آمن من الأرض ، وأكتم للسر من صاحب السر ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة . ولا أعلم جاراً آمن ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقل إملالا ولا إبراما ، ولا أبعد مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد فى جدال ولا أكف عن قتال ـ من كتاب .

غزوة بنى قريظة

« لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها »

نقض يهود بنى قريظة العهد الذى بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق ، فكانت طعنة من الخلف لا تأتى من شجاع .

نقضوا العهد فى وقت كان الرسول فيه مواجها لعشرة آلاف من أعدائه جاءوا من كل مكان للقضاء عليه ، وكان مطمئنا إلى ما بينه وبينهم من ميثاق ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه .

ولقد كان اليهود الخونة على أهبة النزول إلى المدينة والفتك بالمسلمين ونسائهم وعيالهم لولا لطف الله ، فكان ما دب فى صفوف الأحزاب من خلاف مما دعاهم إلى الارتحال . . وبذلك فوت الله عليهم سوء نيتهم ، فكان لا بد من القضاء على بنى قريظة بما صنعوا ، فأمر الرسول مؤذنا فأذن فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة .

وأرسل عليا فى المقدمة حاملا اللواء وكان على حاله من يوم الخندق ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وحاصر المسلمون بنى قريظة وهم فى حصونهم ، وهذه الحصون لم تكن بالشكل الذى نعرفه ، وإنما هى منازل تمتاز عن غيرها بضخامة الجدار وارتفاعه . وكان مع اليهود حيي ابن أخطب وفاء بوعده لهم فى غزوة الخندق [1] .

واستمر الحصار خمسة وعشرين يوما كان القتال فيها تراشقا بالنبل والحجارة ، وكان الحصار شديدا محكما لم يجرؤ معه أحد من اليهود أن يخرج من حصنه .

---

(١) حيي بن أخطب هو الذى دبر فكرة جمع الأحزاب وألب الألوف المؤلفة على الإسلام وصاحب رسالته ، فلما رأى حيرة الأحزاب وترددهم أمام الخندق ذهب إلى بنى قريظة ليستميلهم إلى جانبه فينقضوا عهدهم مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم أن يبقى معهم إن رجعت الأحزاب ولم يصيبوه .

مكتبتنا العربية

ولما أدرك كعب بن أسد - سيد بنى قريظة - أنهم واقعون لا محالة فى يد المسلمين ، عرض على قومه حلا لهذا المأزق وحقنا للدماء أن يعلنوا إسلامهم ، فرفضوا وقالوا : لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره .

فعرض عليهم أن يقتلوا نساءهم وعيالهم وأن يخرجوا إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم يتركوا وراءهم ما يخشون عليه حتى يحكم الله بينهم وبينه ، فإن هلكوا لم يتركوا وراءهم نسلا يخشون عليه ، وإن ظفروا اتخذوا النساء ورزقوا الولد .

فرفضوا ذلك أيضا وقالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ فعرض عرضاً آخر قائلا : إن الليلة ليلة السبت وإن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة .

قالوا : نفسد سبتنا ! ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا ؟ وقر رأيهم على أن يرسلوا شأس بن قيس إلى الرسول ﷺ يعرض عليه أن يرتحل بنو قريظة عن المدينة إلى أذرعات بالشام تاركين وراءهم ما يملكون .

فأبى رسول الله وهو القائل : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

والمرة الأولى كانت مع يهود بنى النضير ، الذين غدروا بالرسول بعد أن فرغ من غزوة أحد ، فدبروا مكيدة لقتله عليه الصلاة والسلام ، غير أن الله حفظه إذ كشف له ما بيتوا ، فبعث إليهم أن اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى بها ، وقد هممتم بما هممتم من الغدر ، وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه .

وخلاصة الأمر أن يهود بنى النضير خرجوا ولم يتركوا وراءهم إلا السلاح .

غير أنهم ما لبثوا أن انقلبوا على الرسول بعشرة آلاف مقاتل حرضوهم عليه من كل مكان فى غزوة الخندق . وهذا هو السر فى رفض الرسول طلب يهود بنى قريظة أن يرتحلوا إلى الشام .

فبعثوا (أى يهود بنى قريظة) إلى الرسول أن ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا ، وكان أبو لبابة مناصحا لبنى قريظة وهو من الأوس وكان بنو قريظة محالفين لهم .

مكتبتنا العربية

فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقالوا : ياأبالبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده الى حلقه (يعنى أنه الذبح) .

فاستنجد بنو قريظة بالأوس حلفائهم أن يشفعوا لهم لدى الرسول، فعرض عليهم أن تختار بنو قريظة رجلا من الأوس ليكون حكما . فاختاروا سعد بن معاذ لذلك ، وكان فى هذا الوقت جريحا اثر معركة الخندق . فذهب جماعة من المسلمين لإحضاره من المسجد حيث كان يداوى فى خيمة رفيدة التى كانت تستقبل الجرحى من المسلمين .

فلما قدم أخذ من الطرفين عهدا باحترام حكمه والنزول عليه ، ثم حكم بأن يقتل الرجال، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .. فلما سمع الرسول ﷺ هذا الحكم قال : « والذى نفسى بيده ، لقد رضى بحكمك هذا الله والمؤمنون وبه أمرت » ثم خرج إلى سوق المدينة وأمر فحفرت بها خنادق ثم جيء باليهود فضربت أعناقهم ودفنوا فيها وكانوا حوالى الستمائة . وهكذا كان جزاؤهم مثل ماعرضوا المسلمين له لو انتصرت الأحزاب فى واقعة الخندق ؟

محمد جمال الدين محفوظ

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

السؤال عن العلم

مما أثر عن حكماء هذه الأمة فى طلب العلم والسؤال عنه الكلمات الآتية :

- خير خصال المرء السؤال .
- إذا جلست إلى عالم فسل تفقهاً ، ولا تسل تعنتا .
- قال الحسن البصرى : من استترعن الطلب بالحياء لبس للجهل سرباله .
- وقال : إنى وجدت العلم ضائعاً بين الحياء والستر .
- قال الخليل بن أحمد : منزلة الجمال بين الحياء والأنفة .
- قال على بن أبى طالب : قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان .

القصاص فى الاسلام

كتاب جديد ألفه العالم الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصى ، وللأستاذ الشرباصى مؤلفات كثيرة ، كان من حسن الحظ أن طالعتها كلها إبان ظهورها ، ولكننى حين قرأت هذا الكتاب وجدته يختلف عما ظهر للمؤلف قبله من كتب ، ووجدتنى شديد الرغبة فى التحدث عنه .

وأول ما يطالعك من محاسن الكتاب ما يبدو فيه من الجهود الكبير المبذول فى تدوين مباحثه ، وهذا العدد الضخم من المراجع القديمة والحديثة التى استعان بها المؤلف ، وأحسن الأخذ منها .

ولقد رأينا بعض المؤلفين المحدثين يسطون على ما كتبه الآخرون ، وينقلونه نقلا دون تبصر أو زيادة عليه ، حتى دون أن يذكروا ما لأصحابه من فضل ، ولكن الشرباصى نظر فى هذه المؤلفات ، وأطال النظر فيها ، وناقش بعض الآراء ، وانتهت به المناقشة إلى تأييدها حينا ، وإلى مخالفتها حينا آخر ، مع إقامة الدليل ، وتوضيح الحجة ، فى التأييد أو المخالفة .

وليس عيبا أن نأخذ عن غيرنا ، ولكن العيب أن نأخذ عنهم ونتجاهلهم ، وتوهم الناس أن هذه آراؤنا وثمرة بحثنا وتفكيرنا ، أو ننقل عباراتهم دون أن نمعن النظر فيها ، ونميّل بين الآراء ، ونضيف إليها جديداً ، وهذا ما برىء منه الأستاذ أحمد ، فهو يسند الرأى لصاحبه ، ويؤيده أو يعارضه بالبرهان العلمى السليم ، ولعمرى ان هذا لهو المنهج الحق فى البحث والدرس .

والكتاب يتحدث عن موضوع خاص من موضوعات الفقه الإسلامى ، وقد يكون من الإنصاف أن نقول : إن المؤلف وفّى هذا الموضوع حقه من كل نواحيه ، وحشد فيه من آراء السابقين والمعاصرين ما جعله - فيما أرى - مرجعا فى هذا الموضوع .

وقد أعجبتنى فى هذا الكتاب مباحث كثيرة ، ولكنى وقفت - بخاصة - عند حديثه عن عقوبة الإعدام ، وعرض آراء المعترضين عليها ، والمؤيدين لاستمرارها ، وكان من حسن تأتيه رده - فى مقدمة الكتاب - على الداعين إلى علاج المجرم بدلا من عقابه ،

لأن المجرم - زعموا - أحوج إلى العلاج منه إلى العقوبة ، فرد المؤلف على هذه النقطة بالذات بأن الإسلام كله وحدة ، وأنه يجب ملاحظة أصوله كلها دفعة واحدة ، فإنه أدق نظام لحياة جماعة فاضلة ، فلا ينظر إليه - فقط - من بعض الزوايا ، وتغفل تعاليمه الأخرى ، فيكون الخطأ ، وتكون البلبلة فى الآراء والنظرات ، وذلك حيث يقول : « والإسلام لا يضيق ذرعا بتيسير الأسباب لعلاج المجرم إذا أمكن الجمع بين علاجه وعقابه المشروع ، ولو تذكرنا أن الإسلام كل لا يتجزأ ، وأنه يجب الأخذ به فى جميع النواحى حتى يمكن خلق المجتمع الإسلامى المنشود ، وأنه قد اشترط للمجتمع شروطا كثيرة كالعدالة والمساواة والأخوة والتعاون والإحسان والتكافل الاجتماعى بشتى صوره ، وأنه يعتبر اختلال هذه الشروط بابا لاعتبار الشبهة فى الجريمة .

أقول لو تذكرنا ذلك لأدركنا أن الإسلام لم يفته الاحتياط لمثل هذه الثغرات أو الدوافع التى يتحدثون عنها ، وأنه قد عالجها وقطع الطريق عليها قبل أن توجد أو تولد ، وكأن الإسلام يأخذ فى هذا المجال بالنظرية القويمة المسلمة « الوقاية خير من العلاج » .

هذا . وإن كنت أخالف الأستاذ فى أن القاتل بلغ حالة لا يصلح معها للتهذيب .

والكتاب جذاب لا يكاد قارئه يبدأ فيه حتى يجد فى نفسه رغبة ملحة فى مواصلة القراءة . ومرجع ذلك - عندى - أن المؤلف لم يقصره على الأحكام الفقهية التى لا تلذ قراءتها إلا لذوى الميول الخاصة ، وإنما جعل ينتقل من فقه إلى أدب إلى تاريخ إلى لغة إلى بيان ، مع أسلوب واضح ، وعبارة سلسة ، وعرض جذاب ، وأفكار متسقة .

ومما أعجبنى فى الكتاب ، هذه البحوث المستفيضة فى الموازنة بين الآية الكريمة (ولكم فى القصاص حياة) والقول العربى المشهور (القتل أنفى للقتل) فقد وفى البحث حقه ، وجمع كل ما قيل فيه أو أكثره ، وأضاف إليه من عنده جديداً ، أعجبنى منه المقارنة بين النصين من الناحيتين النفسية والاجتماعية ومما قاله عن الأولى : « ومن الفروق بين الآية والمثل أن الآية صدرت بلفظة (القصاص) والقصاص إنصاف ، والنفس البشرية تحب هذا الإنصاف وتبحث عنه ، وتعجب به ، وتهتف لمحققه ، وفى الآية كذلك كلمة (الحياة) والحياة كلمة عميقة جذابة » .

ومما قاله فى الناحية الثانية : « ومن الفروق الاجتماعية أن المثل عند سماعه يثير فى نفوس الجماهير مشاعر الانتقام، وأحاسيس الثأر، ويحرك فيهم الميل إلى النزال والقتال للوصول إلى القتل . . . وأما الآية الكريمة فإنها تقف بالجماعات كما تقف بالأفراد على بابى الرغبة والرهبة ، تصدهم — رغباً ورهباً — عما لا يليق بهم من الاعتداء على حياة فرد أو جماعة » .

• • •

ولا يمنعنى الإعجاب بالكتاب ، واللحظات الممتعة التى قضيتها فى قراءته من مراجعة مؤلفه فى بعض الأمور ، فالإخلاص للحق يدفعنا إلى المحاسبة ، وليس المؤلف ولا الناقد ليس واحد منهما ملكا لنفسه ، وإنما هما — ومعهما النص المنقود — ملك الجماعة .

علل المؤلف اختيار كلمة القصاص فى الآية الكريمة ، وإيثارها على كلمتى (الثأر) و (القتل) بأن : « الثأر يذكر بالدم والعداوة والاحقاد والإسراف ، وبأن القتل أيضاً « يذكر بإزهاق الروح والطرد واللعن » أما القصاص ففيه « مساواة وعدل وإنصاف » .

وقد علل الأستاذ مصطفى صادق الرافعى إيثار كلمة القصاص على كلمة القتل بقوله : (من إعجاز لفظة القصاص هذه أن الله تعالى سمى بها قتل القاتل ، فلم يسمه قتلا كما فعلت الكلمة العربية ، لأن أحد القتلين هو جريمة واعتداء ، فنزه — سبحانه — العدل الشرعى حتى عن شبهه بلفظ الجريمة ، وهذا منتهى السمو الأدبى فى التعبير) .

وأقول : إن الأستاذ المؤلف قد رمى بعيداً ، وكذلك فعل الرافعى - رحمه الله - من قبل ، ولعل أقرب طريق للبرهنة على ذلك أن نذكر تعاريف الكلمات الثلاث لنرى أنه لا تصلح إحدى اللفظتين - لغويا - مكان كلمة القصاص .

(فالقصاص) معناه الأصلى المساواة والتعادل كما ذكر المؤلف ، وهو - كما ذكر الرافعى - يشمل أخذ الدية والعفو وغيرهما ، أو بمعنى أدق هو معاقبة الجانى بما جنى فيشمل القتل بالقتل والجرح بالجرح . و (الثأر) له تعاريف نقلها المؤلف عن كتب اللغة ، فهو الدم أو الطلب بالدم ، أو القاتل أو الطالب بالدم ، وأما (القتل) فهو إزهاق الروح ، أو كما يقول الأصفهانى فى مفرداته : إزالة الروح عن الجسد كالموت . فواضح أن كلمة الثأر لا تؤدى معنى كلمة القصاص ، وكذلك كلمة القتل ، فاختيار القصاص إنما هو للفوارق اللغوية .

ويسوق المؤلف قول المفسرين لقوله تعالى : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » ثم يذكر تفسيرين آخرين ، يرى أن الآية تحتملهما ، وهما - فيما يقول - من نظره الخاص ، وأرى أن أحدهما غير صالح ، فهو يقول : « واجب على القاتل الأول أن لا يقدم على القتل ، وأن لا يسرف فى هذا العدوان وهو الاعتداء على النفس المحرمة حتى لا يناله ذلك العقاب الأليم ، وهناك قراءة تؤيد ذلك وهى « فلا تسرف » أى يأيها القاتل لا تسرف فى القتل ولا تقدم عليه بهذه الجرأة ، فيكون ذلك نهيا عن القتل ابتداء - لأننا جعلنا لورثة من تقتله أيها القاتل المعتدى سلطانا رادعا بالغا هو القصاص ، ولأنه كان منصورا بمعونة السلطان ، ومساعدة جماعة المسلمين » .

وواضح أنه يجعل الضمير فى قوله تعالى : « فلا يسرف » للقاتل ، وفى قوله عز وجل : « إنه كان منصورا » لولى الدم ، وذلك لا يتفق مع نص فصيح ، بله القرآن الكريم ، على أنى لا أدرى من أين جاءت النصرة (بجماعة المسلمين) .

وقد ذكر المؤلف فى صلب الكتاب أن يهود كانوا يوجبون قتل القاتل ، ولا يرضون الدية ، وأن المسيحيين كانوا يوجبون أخذ الدية لا غير ، ثم ينقل فى هامش الصفحة نصوصا تدل على أن أهل التوراة كان عندهم القصاص أو العفو ، وأن أهل الإنجيل كان عندهم العفو لا غير ، ثم يترك هذا الأمر دون أن يلقى عليه أضواء التحقيق والترجيح ، بل ان ينبه على هذا الاختلاف ، حتى لربما ظن القارىء العادى أن ما فى الهامش يؤيد ما فى صلب الكتاب ، وليس يكفى فى البحث المتخصص أن يذكر مثل هذا التعارض ، بل لا بد من التحقيق مهما كلف الباحث من مشقة وجهد .

وقد دعت كثرة النقول التى حرص عليها المؤلف إلى أن يكرر المسألة الواحدة ؛ فهو يذكرها أولا ثم يعيدها فى نص من النصوص ، وقد يعيدها فى نص أو نصوص أخرى ، وكان واجب الاقتصاد العلمى يقتضيه أن يقتصر من كل نص على الجديد فيه ، لا سيما فى القضايا المشهورة ، فإذا كانت القضية تحتاج إلى تدعيم وتأكيد ، بذكر أكثر من نص ، أمكن أن يقتصر على أوفى النصوص ، ثم يشير إلى العلماء الذين يؤيدون هذا الرأى ، وإلى كتبهم - إذا شاء - التى وردت فيها نصوص مشابهة .

وعندى أن من عيوب الكتاب جنوح المؤلف إلى الوعظ والإرشاد حتى دعاه ذلك إلى

أن يثبت خطبة ألقاها فى مسجد من المساجد فى يوم جمعة ، والذى أراه وجوب إخلاء البحث العلمى من مثل هذا الأسلوب ، والاقتصار على تبيان الآثار السيئة التى تترتب على مجاوزة حدود الشرع ، دون إلباس هذا البيان الثوب الوعظى .

وقد ذكر المؤلف فى سبب نزول قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ... الآيتين) أنهما (نزلتا فى مقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، حينما بلغ الحزن برسول الله مبلغه بقتله ، فتوعد الرسول قاتليه بأن يبطش بهم ويثأر له فى توسع ، فنزل القرآن يأمر بالعدل والإنصاف والقصاص بلا اعتساف) .

وكنت أحب أن يلقى الأستاذ نظرة فاحصة على هذا الكلام ، فإن الذى يبدو لأول وهلة أنه غير مقبول - وهو كذلك - ذلك أن حمزة رضى الله عنه قتل فى غزوة أحد ، بيد كانت كافرة ، فى حرب مشروعة ، فإذا توعد الرسول بأن يبطش بقاتليه لم يكن مما ينكر عليه ، وليس مايفعله بالكفار فى حرب أخرى مما يدخل تحت القصاص ، وللنبى أن يبالغ فى تقتيلهم ، وإذلالهم ، وليس فى ذلك ما ينهى عنه ، مادامت آداب الحرب مرعية ، ولعلى لا أبالغ أن هذا الأمر يكاد يكون بديهيا ، فكيف مر على المؤلف دون أن يلقى إليه بالا ؟!

* * *

وبهذه المناسبة أذكر أن أكثر العلماء السابقين على أن كلمة (حياة) فى الآية الكريمة ، تشمل أنواعا من الحيوات ، حياة القاتل ، وحياة المهموم بقتله ، وحياة ذويهم ممن كانوا سيقتلون لو لم يشرع القصاص ، كما هى العادة من تعديهم القاتل إلى غيره من ذوى قرابته ، وفى ذلك يقول الطبرسى فى تفسيره (مجمع البيان) : « فيه قولان : أحدهما أن معناه فى إيجاب القصاص حياة ، لأن من همّ بالقتل فذكر القصاص ارتدع ، فكان ذلك سببا للحياة ، عن مجاهد وقتادة ، وأكثر أهل العلم . والثانى أن معناه : لكم فى وقوع القتل حياة لأنه لايقتل إلا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائل ، عن السدى ، والمعنيان جميعا حسنان » .

فالقصاص سبب فى حياة من يهم بقتل إنسان ، ثم يتذكر أنه سيقتل فيرجع ، وسبب لحياة المهموم بقتله ، وسبب لحياة آخرين ، لأنهم كانوا يقتلون غير القاتل ، والجماعة بالواحد ، فالتنوين للتعظيم ، إذا أريد أنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد ، أى لكم

فى القصاص حياة عظيمة ، قال الزمخشرى : « وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل » أو يكون التنوين للنوعية ، أى نوع من الحياة ، « وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل ، لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه ، فارتدع سلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من القود ، فكان القصاص سبب حياة نفسين » كما يقول الزمخشرى فى كشافه .

لكن بعض الباحثين المحدثين يرى أن تنكير حياة ، جاء لأن الذى يحيا بالقصاص فريق خاص من الناس وهم المهموم بقتلهم ، أما القاتل فلا يستفيد من القصاص حياة ، ويقول : إن بعض وجوه الإعراب أصبحت شبهات دينية ، وإن بعض العلماء فهموا اللغة فهما آلياً محضاً ، فأعان كل ذلك على جريرة كبيرة هى ترك مواجهة الصورة اللغوية والفنية ، ودليله على ذلك أن التنكير فى حياة لا يفيد أن غير المهموم بقتله يستفيد حياة من القصاص — كما زعم العلماء — وفى ذلك يقول : « لما كان الإنسان إذا علم أنه إذا قتل قتل ارتدع بذلك عن القتل فسلم صاحبه صارت حياة هذا المهموم بقتله فى مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص ، وصار كأنه قد حيي فى باقى عمره ، وإذا كان المعنى على حياة فى بعض أوقاته وجب التنكير .

ثم إن الحياة لا يستفيد منها الجميع ، إذ ليس بواجب ألا يكون إنسان فى الدنيا إلا وله عدو يهم بقتله ، ثم يردعه خوف القصاص ، فمن لم يهم إنسان بقتله فكفى ذلك الهم ، فليس ممن حيي بالقصاص ، والذى هم بالقتل فلم يقتل خوف القصاص لم يستفد حياة ، وإنما الذى استفاد المقصود قتله ، ذلك أن هذه الحياة إنما هى لمن كان يقتل لولا القصاص ، وذلك محال فى صفة القاصد للقتل » . فهو ينكر أن يكون من هم بالقتل فلم يقتل ، ممن حيي بالقصاص ، هذا الذى عليه مجاهد وقتادة وأكثر أهل العلم .

والسر فى هذا الإنكار أنه لم يمعن النظر ، فلو درى أن المراد : ولكم فى مشروعية القصاص حياة ، لما وقع فيما وقع فيه ، إذ فهم من القصاص وقوع القتل على القاتل ؛ وهو نظر ضيق ، لأن كلمة القصاص معرفة بأل التى تجعلها كلمة عامة ، أى لكم فى هذا الجنس من العقوبات حياة ... والعلم كله لله ؟

على العمارى

كلنا سواء ! ! !

قالت ساعة لأختها : أنت من الذهب الخالص وأنا من المعدن الرخيص ، ولكننا مع هذا نسير معاً ونتساوى فى بيان الأوقات . وكذلك نحن البشر فينا الغنى المترف الذى ولد وفى فمه ملعقة من الذهب الإبريز كما يقول الإنجليز ، وفينا الفقير المعدم الذى استقبل الحياة فى كهف مظلم وخرقة بالية ، ولقمة عيش بغير إدام ، ولكن هذا الفقير يستطيع أن يقول لهذا الغنى ما قالته الساعة الرخيصة لأختها الثمينة : يجب أن نعيش معاً ونعمل معاً لأننى فى فقرى وقيامى بعملى أخدم المجتمع مثلما تخدمه أنت فى غناك ! !

وقرأت قصة طريفة خلاصتها أن بعض السلاطين علم أن ابنه الأمير الوحيد يريد أن يكون خياطا يقضى كل وقته فى صنع الملابس للفقراء والمحتاجين ، فغضب السلطان وأحضر الأمير وقال له : كيف تكون أميراً وتعمل خياطا ؟ هذا عار لا أقبله أبدا ، فقال الأمير : ولكن الخياط يا أبى لا يقل أهمية عن السلطان ! فازداد غضب السلطان وقال لابنه : إذا استطعت أن تثبت لى أن الخياط نافع كالسلطان تركتك تفعل ما تشاء ، وإذا لم تستطع فلن أسمح لك أبدا بممارسة الخياطة مدى الحياة ، وأمامك عام كامل لتأتينى فيه بالبرهان والدليل ! فارتدى الأمير ثياباً قديمة ووضع الإبرة والخيط والمقص فى منديل قديم وسار حتى وصل إلى دكان خياط وعرض عليه أن يعمل عنده فوافق وأخذ الأمير يعمل عنده ثلاثة أيام ، ولكنه فى آخر اليوم الثالث أبدى رغبته فى ترك العمل والانصراف ، فأراد الخياط أن يستبقيه لأن عمله حسن وخلقه جميل وسلوكه طيب ، إلا أن الأمير أصر على الرحيل ، ودعا الخياط إلى وليمة كبيرة يقيمها فى البساتين العامة بعد ستة أشهر فوعده بتلبية الدعوة . وانصرف الأمير وذهب إلى خياط آخر وعمل معه ودعاه إلى وليمة ، وهكذا فعل مع غيره . وما انتهت الأشهر الستة حتى كان قد عمل مع جميع الخياطين فى المدينة ودعاهم جميعاً إلى الوليمة ، وأخذتهم الدهشة عندما رأوا العامل الذى تنقل بين حوانيتهم ليكون خياطا هو الأمير نعمان الذى يرتدى ملابس الأمراء . وبعد ما أكلوا وشربوا قال لهم : يسرنى أن

أدعوكم إلى نزهة طويلة تستغرق ستة أشهر نقضيها فى البحار على ظهر باخرتى العظيمة ، فلبوا طلبه وساروا متنقلين فى البحار .

فلما رجعوا إلى المدينة بعد انقضاء الرحلة وجدوا أهلها جميعاً فى ثياب رثة قديمة ممزقة ، وهم يصيحون ويصرخون : أين كنتم ؟ نريد ملابس جديدة . وذهب الأمير إلى القصر فوجد السلطان حزيناً ، ولما رآه قال : لقد بليت ملابسى الملكية وأصبحت غير لائقة بسلطان عظيم مثلى فابتسم نعمان وقال لأبيه : أرأيت الآن يا أبى كيف كانت نتيجة اختفاء الخياطين من المدينة ؟ فقال السلطان باسماً : الحق معك يا بنى ، لقد تأكدت الآن أن الخياط لايقل أهمية عن السلطان ! ومن ذلك اليوم والأمير نعمان يخيط الملابس للفقراء والمحتاجين وهو مسرور سعيد ؟

هذه قصة جاء بها الخيال من غير شك ، ولكن الحقيقة واضحة فى مراميها ومعانيها ، فالأمة تتكون من أقاليم ، والإقليم يتكون من عدة بلاد ، والبلد مؤلف من أسر ، والأسرة تتألف من أفراد ، ولكل فرد فى الأمة بل فى الحياة مهمة يقوم بها وعمل يؤديه ، فكل عمل يقوم به المواطن عظيم ، وإن بدا فى عين الأغرار حقيراً مهيناً ، فلقد أضرب الكناسون يوماً عقب بعض الأعياد الكبرى فى القاهرة ، فلا تسل عما دهم الشوارع من القمامة ، وأزكم الأنوف من الزهومة ، وأقذى العيون من بشاعة القاذورات ؟ وقلنا : يا لله ، أيؤدى الكناسون للمدينة هذه المهمة الكبيرة : فماذا يحدث إذن لو أضربوا أسبوعاً أو عشرة أيام ؟ ثم لماذا أكتب هذا ؟ لأن بعض الكبراء عندنا يتعالون على بعض العمال كأنهم ليسوا مثلهم لآدم وحواء ، ويتعامون عن حقوق الخدم كأنهم من ذهب إبريز وهؤلاء من طين جاف ، مع أن الله تعالى يقول : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » .

محمود محمد بكر هلال
رئيس اتحاد خريجى الأزهر بمديرية جرجا

دعـــــوة الاسلام

هى دعـوة القوة والسلام

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر الأيام الأولى من رمضان ، وهو يتنقل بين مختلف الأقطار من أعماق هذا العالم الإسلامى ، فشاهد بعينيه أثر دعوة الإسلام فى مئات الملايين من قلوب أهله التى أعلن الاستعمار فشله وعجزه عن تحويل قوة إيمانها إلى ضعف ، وعن إحالة فطرتها السليمة الطيبة إلى ما أراده لها المستعمرون من فساد ، فكان من إلهامات المعانى السامية التى يوحى بها رمضان إلى أهل البصيرة ، ومن بقايا معانى الخير التى تزخر بها قلوب مئات الملايين من المسلمين ، هـــذا البيان البليغ الذى خاطب به الرئيس جمال عبد الناصر إخوانه المسلمين فى مصر والوطن العربى والعالم الإسلامى :

* * *

فى أخريات القرن السادس الميلادى ، وقبل أن يغمر نور « محمد » الرسول (صلوات الله عليه) أرجاء البشرية ، كان العالم فى الشرق والغرب ، فى الشمال والجنوب ، يتعثر فى خطا الرجعية ، ويئن من وطأة الجور والاستعباد ، ويبعد كثيرا عن تعاليم المسيحية السمحة ، ويعكف معظمه على عبادة الوثن ، ويعبد بعضه النار أو الكوكب السيار .

فشعوب بأسرها تستذلها فئة من الرجال قد يلقبون بالأباطرة حينا ، والقياصرة حينا آخر ، وعوالم بجموعها تضللها فئة أطلقت على نفسها رجال الدين ، واتخذت من هذا اللقب ستارا تتوهم به هذه الجماهير حتى لا تفيق من سباتها ، وتزيح العصائب عن أبصارها .

وحروب بعضها فى اثر بعض تثار إشباعا لهمة الغزو والفتح فحسب ، حتى بات العالم على شفا الهاوية ، وكادت تدور عليه الدائرة . ولكن رحمة الله التى وسعت كل شىء قضت ولا راد لقضائها أن تهدى هذا العالم الضال ، وترده إلى الهداية والاستقرار ، فاختارت « محمدا » العربى اليتيم الفقير الناشىء فى جوف الصحراء ليكون النبى الملهم ، والرسول الموحى إليه ، ليرد البشرية إلى السلام والطمأنينة ، وإلى التراحم والتعاون ، والإيمان واليقين .

وكانت رسالة من أشق الرسالات وأخطرها فى هذا الجو العاصف الذى كان يجتاح العالم حينذاك ، ولهذا التخلف المزرى الذى اتسم به البشر آنذاك ، ولكن الخلق العظيم الذى تخلق به الرسول الكريم ، والصبر الجميل الذى تحلى به طوال حياته ، والقوة الخارقة فى الإعداد والتنظيم ، وما كان يمتاز به من بلاغة ومنطق سديدين ، كل أولئك مكن لرسالته وأصل لدعوته ، فآمنت به هذه الملايين من البشر إيمانا زاخرا لا يخبو ولا يفتر .

ولقد استطاع الرسول الكريم أن يجعل دعوته مثلا لكل الدعوات ، ومناراً لمن أتى بعده من المصلحين ، فقد كان خاتم الأنبياء ، وآخر الموحى إليهم من المرسلين ، لجعل من حياته دستوراً للحاكمين ، ومن سيرته نوراً يهتدى به الأحياء على مر الأجيال والأعوام .

لقد كانت حياته متناهية فى البساطة ، غاية فى السمو والترفع ، فعاش فقيرا ومات فقيرا ، وكان فى ذلك مضرب الأمثال .

وكانت سيرته حافلة بألوان التضحيات فضحى بنفسه مرات ومرات ، ضحى بها عند إعلان دعوته ، وإصراره عليها ، وعدم الرجوع عنها ، على قلة الناصر والمعين ، وضآلة المال والنشب ، وضحى بها فى الغزوات التى دافع فيها عن كيانه بل كيان دعوته .

وكانت دعوته من أقوى الدعوات لأنها لم تجعل حجاباً بين العبد وربه ، ولا وساطة بين الإنسان ومعبوده ، فالله أقرب إلى مخلوقه من حبل الوريد . فقضى بهذه الدعوة على كل وساطة وكهانة وادعاء .

وبساطة الدعوة كانت العامل الأول فى هذا القرب العجيب : فكل إنسان يستطيع فى يسر أن يفهم مرامى الدين ، ويقوم بفرائضه فى غير عنت أو إرهاق .

وأظهر ما فى الدعوة الاتحاد والتعاون : فالمسلم أخو المسلم ، والمؤمن للمؤمن ، أنى كان هذا المسلم أو المؤمن ، فالفرقة ضعف ، والخروج على الجماعة خذلان .

حقاً ان فى الدعوة الإسلامية دروساً وعبرا . فلم لا نتخذ منها واعظاً ومرشداً ؟ لم يشق بعضنا عصا الطاعة على بعض ؟ ولم نفترق فى سياستنا وأهدافنا ومثلنا ؟ لم لا نهتدى بهدى الإسلام عندما نضل الطريق أو تشتبه علينا الأعلام ؟ لم يكون بعضنا حربا على بعض ؟ لم ننساق فى سبيل غير سبيل الأخوة الصادقة والعصبية المتكاتفة والجماعة المتآزرة ؟

ألم تكفنا هذه القرون السوالف التى صرنا فيها إلى حطام ؟ ألم تنل منا العوادى لما كان بيننا من فرقة ؟ ألم نستذل وقد كنا سادة الدنيا وكرامها ؟

أيها العرب ، أيها المسلمون ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول بأن تكونوا يداً على من عاداكم ، مسالمين لمن سالمكم ، ولا تفرقوا ولا تهنوا فأنتم الأعلون ، وليست هذه العبارة ألفظها من الشفاه ، أو يرددها اللسان ، ولكنها نابعة من قلبى المؤمن إيماناً عميقاً بدعوة الإسلام التى هى (دعوة القوة والسلام) . فهل تضعون أيديكم فى يدى ؟

وهل تلبون هذه الدعوة الحارة من قلب مؤمن بالعروبة والإسلام ؟

ولن يكفينى أن بلغت ، وأشهدت الله على أن بلغت ، ولكننى سأسعى ما حييت بكل ما فىّ من جهد وعزم وإيمان ، لتصبح هذه الدعوة حقيقة لا ريب فيها . والله على ما أقول شهيد .

جمال عبد الناصر

أحاديث الاستاذ الأكبر

وجوب التحرى لرؤية هلال رمضان

السعى لتوحيد القيام بعبادة الصوم فى البدء والنهاية

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله : محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه وكل من اهتدى بهديه العظيم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإنه يسرنا فى مطلع هـــذا الشهر العظيم ، شهر رمضان المبارك ، أن نتوجه إلى إخواننا المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، بالتحية الطيبة والتهنئة الخالصة باستقبال شهر الصيام الذى يجب أن نحتفل به ، وأن نحيى فيه نزول القرآن الكريم ، الذى أنزله الله لعباده خيرا ورحمة ، وجعله هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور . وأرشدهم بتعاليمه إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة ، وبصرهم بنصحه ومواعظه ليطهروا نفوسهم ، ويصلحوا بعبادته شئونهم ، ويأخذوا بأنفسهم فى الجادة والطريق القويم .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تحرى رؤية الهلال :

وإن أول ما يجب أن يعنى به المسلمون لاستقبال هذا الشهر العظيم أن ينهضوا لتحرى رؤية الهلال عقب غروب الشمس من اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، وأن يبذلوا جهودهم ويتعاونوا فى القيام بهـذا الواجب الدينى الخطير ، ولا ينبغى أن يتهاونوا فى أمر ترصد الهلال ، ويركنوا إلى الكسل بالاعتماد على حساب الفلكيين . فإن إثبات الهـلال بالرؤية أمر حتمه الدين الإسلامى الحنيف ، ورسول الله ﷺ يقول : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

آلات الرصد الحديثة :

ولقد يسر الله أمر الرؤية فى هذا العصر بما اخترعه العلماء من الآلات الحـديثة التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الأولى مهما كان صغيرا دقيقا .

وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس أكثر من تحرى الهلال برؤيته بالعين المجردة، ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عن وسائل أخرى، رحمة بهم وتخفيفا عليهم، فإن ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التى تسهل رؤيته والتثبت منه ما دامت موفورة ميسرة.

ينبغى للمسلمين فى جميع أقطار الأرض أن ينشطوا لهذا الأمر، وأن يستخدموا كل ما يستطيعون لرصد هلال رمضان وإثباته بالرؤية، وأن يهتموا بشريعة الصيام، التى هى أحد أركان الإسلام.

اهتمام الناس بالرؤية فى الماضى:

وإنى ألاحظ أنه منذ ثلاثين أو أربعين سنة مضت، كان اهتمام الناس بتعرف الهلال وترصده، والعناية برؤيته، أكمل وأقوى مما هم عليه فى الآونة الحاضرة، وقد كانت المنارات والمآذن، فى المدن والقرى، لا تكاد تخلو واحدة منها من جماعة فرغت نفسها، وأقبلت بوحى من دينها، لترصد الهلال، وليكون لها شرف رؤيته والشهادة بثبوته.

إحراز شرف الرؤية:

وإنى كنت فى هذا العام مصمما العزم على الذهاب بنفسى إلى مرصد حلوان قبل الغروب فى هذا اليوم (الجمعة) لأحرز هذا الشرف العظيم، شرف أن أكون من شهود إثبات هلال رمضان، وعملت من أجل ذلك على الاتصال بمصلحة الأرصاد الجوية، لأتعرف الأحوال التى قد تثبتها هذه الأرصاد عند وقت الغروب من ذلك اليوم، كما عملت على الاتصال بالقائمين بالأمر فى مرصد حلوان، ليوفروا لى الوسائل الميسرة لرؤية الهلال، ولكن عارضا قويا حال بينى وبين تنفيذ هذا الذى عزمت عليه، فعهدت إلى جماعة من العلماء والموظفين فى مشيخة الأزهر أن يذهب منهم نفر إلى مرصد حلوان، وآخر إلى سفح الأهرام، ونفر ثالث إلى أعالى القلعة، وسيكونون جميعا مزودين بمعلومات فلكية عن موقع الهلال ومنزلته ومدة مكثه فوق الأفق بعد غروب الشمس، وسيكون أيضا كل فريق منهم مجهزا بمنظار معظم وبآلات حديثة مما يستخدم فى المراصد.

وأرجو أن يوفقهم الله لرؤية هلال هذا الشهر المعظم، كى يتيسر الاتصال بأهل الأقطار الأخرى، ونعمل على توحيد القيام بهذه العبادة، عبادة الصوم فى البدء والنهاية.

والله ولى التوفيق؟

مكتبتنا العربية

صوموا لرؤيته...

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خاتم رسل الله ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فإن الرسول العظيم الذى بعثه الله هادياً ورحمة للعالمين ، قد علمنا مما علمه الله ، وبصرنا بما هدى إليه من هدى الله ، وأرشدنا فى شعائر ديننا ، ومقومات عباداتنا ، إلى ما تصلح به وما ينبغى الاعتماد عليه .

وإن من خير ما أرشدنا به الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمر الصيام ، واستقبال شهر رمضان ، قوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » . فقد ربط ثبوت الشهر بهذه العلامة الحسية ، وعلق وجوب الصوم على تحقق الرؤية البصرية : رؤية الهلال بعد غروب الشمس فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، وهذه الرؤية هى التى تفيد العلم الجازم ، واليقين الذى لا شك فيه بثبوت شهر الصيام .

أما إذا كانت رؤية الهلال فى ذلك اليوم مستحيلة طبيعة ، بأن كان القمر لم يتم دورته بعد ، أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التى تحول دون الرؤية ، فقد أرشد النبى صلى الله عليه وسلم إلى ما يقع فى ذلك ، فأمر بإكمال شعبان ثلاثين يوما ، ثم لا يكون المسلمون حينئذ فى حاجة إلى تفقد الهلال فى اليوم التالى لإثبات شهر رمضان .

غير أن هناك أمراً مهماً يجب النظر إليه ، والفصل فيه بحكم يقطع الاختلافات ، التى تقع كثيراً بين أهل الأقطار الإسلامية فى اليوم الذى يبدأ فيه الصيام .

ذلك أن بعض هذه الأقطار قد يتيسر لأهلها رؤية الهلال ، فى حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر ، فهل يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر الثانى على ما يبلغهم من تحقق الرؤية فى بعض الأقطار الأخرى ، فيصوموا معهم من أول أيام صومهم ، ويتوحد بذلك مظهرهم فى أداء عبادة من أهم العبادات ، وفى إقامة شعيرة هى من أعظم أركان الدين ؟

حقاً ان موقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقاً وغرباً ، وشمالا وجنوباً ، واختلاف هذه المواقع ولا سيما عندما ينظر إليها بالقياس إلى الخطوط الطولية للكرة الأرضية ، يوجب بالضرورة اختلافاً وتفاوتاً فى المواقيت ، فتشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين بساعة وساعتين وثلاث ساعات وأكثر من ذلك على حسب التباعد بين الجهتين شرقاً وغرباً . ولذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الإفطار والإمساك فى جميع الأقطار الإسلامية ، ما دامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، وما دام الواقع يشهد بأنه قد يفرغ ناس من الإفطار وصلاة المغرب فى يوم من أيام رمضان على حين أن ناساً آخرين لا يكونون قد فرغوا بعد من صلاة ظهر ذلك اليوم ، وأن أهل بلد يمسكون عن الطعام والشراب فى فجر يوم ، على حين أن أهل بلد آخر يكونون حينئذ فى وقت الضحى أو الظهر من ذلك اليوم .

لكن اختلاف مواقع البلدان لا يمكن أن يكون له الأثر البالغ فيما يرجع إلى إثبات الأهلة ، ولا يمكن أن يكون التفاوت بين الأقطار الشرقية والغربية بمقدار يوم كامل ، فهلال رمضان من هذا العام ربما لا يتمكن بعض أهل الشرق من رؤيته بعد غروب الشمس من يوم الجمعة التاسع والعشرين من شعبان ، لغروبه قبل غروب الشمس عندهم ، فى حين يستطيع رؤيته أهل مصر أو أهل تونس أو الجزائر أو مراكش ، فالهلال هو من غير شك هلال جديد : هو هلال رمضان ، كما أن يوم السبت التالى لا شك أنه هو يوم السبت لا يوم الجمعة عند جميع أقطار الأرض . فما المانع من اعتبار أن الهلال الجديد الذى ظهر لأهل المغرب هو هلال رمضان لأهل المشرق أيضاً ؟!

إنه لا شبهة فى أن الهلال هلال رمضان ، وأنه قد ولد قبل مضى يوم كامل على أهل المشرق الذين لم يروه فى أول ليلة ، ولذلك هم يرونه فى الليلة التالية أكبر حجما ، وأعلى فى الأفق منزلة مما كان فى الليلة الأولى عند أهل المغرب الذين رأوه فيها .

ومن هنا اختار كثير من العلماء عدم التعويل على اختلاف المطالع فى إثبات الهلال ، وهو ملحظ قوى ووجهة نظر سديدة ، ويزيد ذلك قوة وسداداً أن توحيد بدء الصيام من أقوى العوامل على تمكين الروابط بين الأمم الإسلامية فى جميع أقطار الأرض

مكتبتنا العربية

وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة ، والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التأليف والتقريب وتوحيد الكلمة .

وهذا الملحظ القوى لا يتنافى مع ما دل عليه الحديث : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » فإن ذلك خطاب للأمة الإسلامية المتكافلة المتساندة فى إقامة شعائر الدين وإيجاب الصوم على المكلفين متى تحققت رؤية الهلال ، فيكفى إذن لإيجاب الصوم على أهل قطر أن تثبت رؤيته ولو فى قطر آخر ، فإن الحديث لم يقل : لا يجب الصيام إلا على من رأى هلال رمضان . . وإذن فلا فرق بين قطر وقطر فيما يرجع إلى ثبوت الهلال ، كما أنه لا فرق بين بلد شرقى وآخر غربى فى قطر واحد .

هذا ، ولا ينبغى أن يتوهم متوهم أن قول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » معناه فمن رأى هلال رمضان فليصمه ، وأن ذلك يتنافى مع فكرة توحيد البدء بالصيام ، فإن الشهود فى الآية ليس معناه الرؤية ، فالأعمى والمبصر سواء فى إيجاب الصوم ، وإنما هو الحضور ، والمعنى من حضر شهر رمضان وأدرك زمنه فى حالة أهليته للتكليف بالصوم ، فعليه أن يصوم .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وخلاصة القول أنه ما دامت مسألة اختلاف المطالع واعتبارها أو عدم اعتبارها محل اجتهاد الفقهاء ، ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أنظارهم ، فلا يكون من بدع القول أن يرجح أحد النظرين على غيره ، ويفصل فى المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع نظراً لما أشرنا إليه من أسباب هذا الترجيح .

نسأل الله للمسلمين جميعاً أن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم ، ويرفع شأنهم ، ويعز سلطانهم والله ولى التوفيق والسداد ؟

عود الى تقرير الرأى

فى مسألة إثبات الأهلة

فى حديث الصيام الذى نشرته لنا جريدتا الأهرام والجمهورية فى أول يوم من شهر رمضان الحاضر — قلنا : إن اختلاف مواقع البلاد على الكرة الأرضية شرقا وغرباً له أثر كبير فيما يرجع إلى مواقيت الصلوات اليومية ، وكذلك فى تحديد وقت الإفطار ووقت الإمساك فى شهر رمضان .

وقلنا أيضاً : إن اختلاف هذه المواقع ليس له الأثر البالغ فيما يرجع إلى ثبوت الأهلة ، وأردنا من ذلك أن التفاوت بين البلاد فى المطالع لا يمنع من توحيد بدء الصيام فى جميع الأقطار ، اعتماداً على تحقق رؤية الهلال فى قطر من هذه الأقطار .

ولكن قد يقول قائل : إن هذا التوحيد إن صح أن يجرى على القطر الذى رأى أهله الهلال وعلى الأقطار الواقعة غربيه فلا يمكن أن يتحقق بين ذلك القطر والأقطار التى فى الجانب الشرقى منه : فإذا رؤى الهلال فى مصر فى ليلة فإن هذه الليلة من وقت غروب الشمس تكون من الشهر الجديد بالنظر إلى أهل مصر ، ولزم أن تكون كذلك بالنظر إلى أهل تونس والجزائر ومراكش من بعد غروب الشمس عندهم أيضاً ، بل إن رؤية الهلال تكون فى هذه الأقطار أيسر منها فى مصر ، لعلو منزلة القمر فوق الأفق هنالك ، بسبب تأخر غروبه عن غروب الشمس أكثر مما يكون فى مصر ، لكن تلك الليلة التى تحتسب جديدة لمصر وللبلاد الواقعة غربيها لا تكون جديدة لأهل الأقطار الشرقية : كفارس وباكستان وأندونيسيا ما دام الهلال لم يكن قد انفصل فى سمائهم عن حالة المحاق ، أو مادام الهلال لم ير عندهم بعد غروب الشمس .

قد يقال هذا . ونحن نوافق على أن حالة البلاد الواقعة شرقى قطر رأى أهله الهلال تختلف إلى حد ما عن حالة البلاد الواقعة غربى هذا القطر ؛ لكن هذا الاختلاف لا يمنع

مكتبتنا العربية

ـ على أية حال ـ من الأخذ بفكرة توحيد البدء بالصيام . وهى فكرة قد ذهب إليها كثير من العلماء الأعلام وأئمة الفقه الإسلامى .

وكل ما هنالك من فرق بين قطر شرقى وآخر غربى ـ بالنظر إلى نقطة معينة يكون أهلها قد رأوا الهلال ـ هو بضع ساعات من الليل تحتسب لأهل البلاد الشرقية من الشهر القديم ، على حين تكون عند أهل مركز الرؤية وما فى غربيه من الشهر الجديد . أما ما بعد هذه الساعات من الليل فإنه يكون من الشهر الجديد بالنظر إليهم جميعا .

وإذاً يجب صوم النهار التالى لليل الذى تحققت فيه رؤية الهلال فى قطر من الأقطار : يجب صومه على أهل ذلك القطر ، وعلى أهل كل قطر وكل بلد اشترك مع قطر الرؤية فى جزء من ذلك الليل الجديد ، وذلك بإدراك جزء منه قبل طلوع الفجر .

أما الأقطار التى لا تشارك قطر الرؤية أو بلد الرؤية فى جزء من ذلك الليل الجديد ، فإنهم يكونون حينئذ فى نهار قديم من غير شك : هو نهار آخر أيام شعبان . فعليهم أن يصوموا النهار الذى يتلو عندهم ذلك الليل الجديد .

وتكون النتيجة أن أهل الأقطار جميعها إذا صاموا النهار التالى لتحقق الرؤية فى قطر من الأقطار يكونون صائمين فى نهار جديد من شهر جديد .

أما ما قد يقال من أنه ينبغى الانصراف ـ فى إثبات الهلال ـ عن الرؤية والاكتفاء فى ذلك بحساب الفلكيين ، وأن هذا هو الذى يحل الإشكال ويمنع الاختلاف الذى يقع كثيراً بين الأقطار فى إثبات هلال رمضان ، فنحن لا نوافق عليه ، ولا ينبغى المصير إليه لأمرين :

« الأول » أنه مخالف لما نص عليه الحديث النبوى الصحيح من ربط الصيام بالرؤية التى هى المشاهدة الحسية اليقينية ، ووجوب الاعتماد عليها فى تنفيذ فريضة الصيام .

« الثانى » أن الاعتماد على الحساب الفلكى ـ الذى يراعى فيه اختلاف أوضاع القمر حسب اختلاف مواقع البلاد فى أى بقعة من بقاع الأرض ـ لا يحل الإشكال ،

ولا يمكن أن يتوحد به بدء الصيام فى جميع الأقطار ، فإن التفاوت بين حساب وحساب هو كالتفاوت بين رؤية ورؤية .

وإذاً لا مناص — حين يراد توحيد بدء الصيام فى جميع الأقطار الشرقية والغربية — من اعتماد الرؤية التى تتحقق فى بعض البلاد ، والاكتفاء بها فى وجوب الصوم على سائر الأقطار ، لا فرق بين ما هو واقع منها شرقى مركز الرؤية وما هو واقع غربيه .

فإذا اهتم المسلمون فى الأقطار كلها بهذا الأمر الدينى العظيم ، وبذلوا عنايتهم فى التماس الهلال وتحرى رؤيته بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، واتفقوا على أن يعلم بعضهم بعضا بنتيجة ذلك التحرى ، وعلى وجوب الاعتماد على قرار أية دولة إسلامية يكون قد ثبت لديها حلول شهر رمضان بما تحقق من رؤية هلاله بالأعين المجردة أو بالأجهزة الحديثة المرجحة المكبرة — إذا اهتم المسلمون وعنوا بذلك العناية التامة فإنه لا يمكن أن تفوتهم جميعا رؤية الهلال متى كان نظام دورته يساعد على هذه الرؤية .

وبهذا يتم العمل بالحديث النبوى : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » من حيث أنه يوجب الصوم على المسلمين إذا تحققت رؤية الهلال ، ولم يقصر وجوب الصوم على أهل الرؤية وحدهم .

نسأل الله الهداية والتوفيق ، إنه سميع مجيب .

أحكام الصيام

فى المناطق القطبية وما يقرب منها

قال الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

بين الله تعالى فى صدر هذه الآية منزلة شهر رمضان وجلال مكانه بين أشهر السنة ، من حيث انه سبحانه قد اختاره من بين هذه الأشهر ، وأنزل فيه أول ما أنزل من القرآن الذى هو فى جملته هداية عامة للناس ، ومعجزة إلهية تثبت بنفسها أن هذا القرآن ليس من صنع أحد من البشر ، فليس هو من إنشاء محمد وابتكاره ، وليس هو من ثمرات عبقريته وذكائه ، وإنما هو كلام الله ووحيه ، جعله حجة ساطعة لمحمد ﷺ ودليلا باقياً على صدقه فى دعواه أنه رسول الله إلى الناس ، لينقذهم من الشرك والضلال والزيغ والانحراف ، وليقضى على ما كانوا عليه من قبيح العادات وسوء التعصبات .

ذلك شىء من هداية القرآن فى جملته .

وهو فى تفصيله آيات بينات ، ودلائل واضحات ، فى باب الهدى والإرشاد ، والتفرقة بين الحق والباطل : يبين الحق ويوضح دلائله ، ويفصل آثاره وثمراته ، داعياً إليه ، آمراً باتباعه والتمسك بأهدابه ، ويكشف عن الباطل ومساويه ، ناهيا عنه محذراً من مفاسده وأضراره .

وقد أشارت الآية بعد ذلك إلى أن الشهر الذى هو بهذه المنزلة من الفضل والشرف - شرف اختياره لتنزل فيه هذه النعمة العظمى على الإنسانية كلها - يجب أن ترعى حرمته ، وأن تحيا دائماً ذكراه ، ففرض فيه شريعة الصيام ، وهى شريعة تناسب حال القرآن ودعوته ، وتتفق مع أهدافه وغاياته والحكمة من إنزاله ، فإن القرآن هدى ونور ، يحث على التقوى والرحمة ، وعلى العدل والمساواة ، وإحسان المعاملة والمعاشرة ، وعلى الصراحة وصدق القول وإخلاص العمل ، وتطهير النفس من الخداع والغش والنفاق .

وكذلك الصيام وحكمته ، فإنه يبعث على الإحسان والرحمة ، وعلى الصدق والإخلاص ومراقبة الله ، ويمرن النفس على الجلد والصبر فى مكافحة الشدائد والملمات ، وعلى جمع الهمة وبذل الجهد لتذليل الصعاب والتغلب على مختلف العقبات .

فالصوم أحسن مبصر بحكمة نزول القرآن ، وخير مساعد على الاهتداء بهديه ، والانتفاع بتعاليمه وإرشاداته .

* * *

وقد بينت الآية الكريمة أن صوم رمضان واجب حتم على كل من شهد هذا الشهر العظيم ، وشهر رمضان هو أيامه التي عدتها ثلاثون أو تسعة وعشرون ، وليس هو الهلال . والمراد بشهود هذا الشهر ليس هو رؤية هلاله كما قد يظن بعض الناس ، فإن نزول القرآن لم يكن في هلال رمضان ، وإنما كان نزوله في أوقات من ليل أو نهار .

ولأن الذي يصام ليس هو الهلال ، وإنما هو تلك الأيام . هذا إلى أن الصيام واجب عام وليس مقصوراً على من رأى الهلال ، فمن رأى الهلال ومن لم يره في وجوب الصوم على سواء .

فشهود الشهر إذاً معناه الحضور فيه ، تقول : شهد فلان صلاة الجمعة وصلاة العيد ، وشهد الاحتفال برأس السنة وذكرى الهجرة ، وتقول شهد يوم عرفة كل عام عدة آلاف من المسلمين ، فليس الشهود في ذلك كله على معنى الرؤية والإبصار ، وإنما هو على معنى الحضور والوجود في تلك الآونة والمشاركة في تلك الأعمال .

وعلى هذا يكون الصوم واجباً على كل من حضر وقته وأدرك زمنه المحدد شرعاً .

وهذا الوجوب ملاحظ فيه بالضرورة أن المخاطبين به هم أهل التكليف ، وهم العقلاء البالغون ، فلا يجب الصوم على صبي دون البلوغ ، كذلك لا يجب على مجنون ، ولا تشغل به ذمته ما دام كذلك مرفوعاً عنه القلم ، حتى إذا أفاق من جنونه وعاد إليه وعيه فلا يكلف بقضاء ما فاته من الصيام ، كما لا يكلف بقضاء ما فاته من الصلوات ، فإن وجوب القضاء متفرع على شغل الذمة بأصل الواجب ، وذلك غير متحقق في المجنون ، فهو والصبي غير المكلف على السواء .

أما إذا كان العاقل البالغ المكلف بالصوم مريضاً مرضاً لا يستطيع معه الصوم أو لا يستطيعه إلا بجهد جهيد ، أو كان الصوم عاملا على زيادة مرضه أو تأخر برئه منه

مكتبتنا العربية

فإنه يكون معفى من وجوب تنجيز الصيام فى وقته المحدد. ولكن ذمته تكون مشغولة بهذا الواجب ، فعليه أن يقضى ما فاته بعد زوال المانع ، فيصوم أياماً بعدد ما فاته ، فإن لم يدرك أياماً يكون فيها صحيح الجسم ومستطيعاً أن يصوم ، بل استمرت به العلة والضعف حتى مات فلا يؤاخذ بشىء مما فاته من صيام .

وليس على هذا المريض الذى أعفى من وجوب تنجيز الصوم شىء من الفدية التى تجب على غيره فى بعض الحالات ، لأن المريض مشغول الذمة بوجوب الصوم نفسه ، فإن لم يستطع أداءه فى حالة المرض وجب أن يقضيه فى حالة الصحة ، وما دام المانع من الصوم هو المرض وحده وكان هذا المرض من شأنه أن يعرض ويزول فلا ينتقل الوجوب إلى شىء آخر غير الصوم ، ولا يقوم غيره مقامه فى الخروج عن عهدته .

وكذلك المسافر - الذى يقطع مسافة السفر الشرعية - له أن ينتفع بهذه الرخصة : رخصة الفطر ، على أن يقضى ما فاته بعد إقامته بصيام عدة ما فاته من أيام أخر ، لكن المسافر إذا أخذ بعزيمة الصوم كان ذلك خيراً وأفضل كما قال تعالى : « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » إلا أن تصل به مشقة السفر إلى حد الإجهاد والإعياء ، ففى هذه الحالة يكون كالمريض وينبغى له الفطر وعليه القضاء .

أما الذى يطالب بالفدية : وهى إطعام مسكين يوما كاملا عن كل يوم يفوت صومه ، فهو الهرم الذى لا يستطيع الصوم إلا بجهد يستنفد طاقته ويبذل فيه غاية الوسع ونهايته . فهذا لا تكلفه الشريعة بأداء الصيام لأنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ثم هو ليس من أهل أن تخاطبه الشريعة بوجوب قضاء ما يفوته لأن المانع عنده من أداء الصوم فى وقته ليس من الموانع التى من شأنها أن تعرض وتزول ، بل هو عارض مستمر ملازم يزداد فيه صاحبه كل يوم ضعفاً على ضعف ، فالشريعة الحكيمة لا تخاطبه حينئذ بوجوب قضاء الصيام ، وإنما الواجب عليه الفدية : طعام مسكين عن يوم ، وذلك بر ونفع يعود على الجماعة بسد حاجة واحد من الفقراء المساكين يوما كاملا ، يحفظ نفسه فيه من ذل المسألة . وهذا هو عين العدل وعين الرحمة ، يوم بيوم ، ما دام ليس هناك إثم ولا عدوان . وهذا التشريع الحكيم هو نقطة صغيرة جداً من كتاب الضمان الجماعى والتكافل الاجتماعى الذى أتى به الإسلام .

وقد بين فى آية سابقة على التى قدمناها أول الكلام — نوع الفدية ومن تجب عليه وذلك قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » فإن المراد بالذين يطيقون الصيام هم الذين يبذلون فيه آخر الطاقة وغاية الوسع ، ويستنفدون فيه كل الجهد ، وليس معناه الذين يستطيعونه عن سعة ويسر وقوة احتمال .

والذى يؤيد أن المراد بالإطاقة فى الآية هو هـذا المعنى الذى أشرنا إليه ما ورد فى قراءة أخرى تقول : « وعلى الذين يطوقونه » فإن التطويق هو إحاطة العنق ونحوه بطوق ، وذلك يدل على معنى الشدة والضيق ، ويكون معنى الآية على هذا أن من يعتريه بسبب الصيام ضيق وشدة بالغة تستنفد جهده وغاية استطاعته وهو الهرم ، فعليه الفدية عن كل يوم طعام مسكين ، وبهذا تلتقى القراءتان ، والقراءات كما قال العلماء يفسر بعضها بعضاً .

ويلحق بالهرم الضعيف عن احتمال الصيام فى وجوب الفدية والاكتفاء بها عن الصوم من كان مريضاً مرضاً مزمناً من شأنه أن يلزم صاحبه حتى الموت مهما طال أمده .

ويستخلص من هذا التشريع الحكيم — الذى حاطه الله بالتيسير على العباد ، فلم يكلفهم بما فيه حرج وعسر عليهم — حكم الصيام بالنظر إلى سكان البلاد التى يكون فيها النهار طويلا جداً ، وهى البلاد القريبة من المناطق القطبية ، فإنه ما دام عندهم ليل ونهار ، فالصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كما قال الله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

فمن لا يستطيع من سكان هذه البلاد إتمام الصيام من الفجر إلى الغروب ، أو كان لا يستطيع ذلك إلا بعسر وحرج بالغين ، فإنه يسوغ له الفطر ويجب عليه قضاء ما فاته فى أيام يستطيع فيها ذلك ، إن الله يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

أما إذا كان فى منطقة تمكث فيها الشمس زمناً طويلا من غير غروب أو فى منطقة تغيب فيها كذلك من غير شروق ، فإنه يقدر لصيامه فى كل أربع وعشرين ساعة مدة يستطيع الصيام فيها من غير عسر وإجهاد ، ليحصل فوائد الصوم الروحية والبدنية التى من أجلها كتب الله الصوم على العباد ، ولا ينبغى القول بسقوط هذه العبادة عنه فيحرم من ثمراتها وعظيم منافعها .

كما أنه يجب أن يقدر للصلوات الخمس أزمنة فى كل أربع وعشرين ساعة كى ينتفع أيضا بثمرات هذه العبادة التى هى أهم أركان الإسلام ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

من نوادر المخطوطات

شرح المطرزى على مقامات الحريرى

رزق الحريرى شهرة بين كتاب العربية لم تتح لغيره ، كما رزقت مقاماته شهرة لم ينلها كثير من كتب الأدب العربى على كثرتها وتنوع موضوعاتها ، ولقد سبق الحريرى غيره فى إنشاء المقامات ، كما حذا غيره من المتأخرين حذوه ، فلم يفضله من سبقه ، ولم ينسخ شهرته من تأخر عنه . ومقاماته حرية بالمنزلة التى أنزلها إياها تاريخ الأدب ، ويكفى أن يشهد لها الزمخشرى صاحب الكشاف فيقول .

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته
ان الحريرى حرى بأن تكتب بالتبر مقاماته
معجزة تعجز كل الورى ولو سروا فى ضوء مشكاته

ويشهد لها المطرزى فيقول : « إنى لم أر فى كتب العربية والأدب ، وفى تصانيف العجم والعرب ، كتابا أحسن تأليفاً ، وأعجب تصنيفاً ، وأغرب ترصيفا ، وأشمل لعجائب العربية ، وأجمع للغرائب الأدبية ، وأكثر تضمناً لأمثال العرب ، ونكت الأدب ، من المقامات التى أنشأها الإمام جمال العصر وكمال الدهر أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى »

وقد لقيت مقامات الحريرى قبولا من أدباء عصره ، فأقبلوا عليها دراسة وتحصيلا ، وتفهما وتفهيما ، ولما كان الحريرى قد ضمن مقاماته كثيراً من أمثال العرب وأخبارهم ، كما ضمنها كثيراً من المسائل النحوية والخصائص اللغوية ، احتاجت إلى شرح يكشف ماغمض من هذه المسائل ، فانتدب لشرحها كثير من العلماء فشرحوها شروحا كثيرة قديما وحديثاً ، وشرحها بعض المستشرقين من علماء الغرب شروحا مستفيضة ، وقد طبعت بعض شروحها وتداولها الأدباء ، ومن أشهر ما تداول مما طبع شرح الشريشى عليها .

ومن الشروح القديمة التى كان يتداولها العلماء شرح العلامة المطرزى عليها ، وهو

موضوع كلمتنا هذه ، وإنه فى نظرنا من أجل الشروح وأدقها وأوفاها بالمراد فيما تصدى له من بيان غرائب ما فى المقامات من مسائل النحو واللغة والأدب ، ذلك أن المطرزى من علماء العربية المتقدمين الذين عرفوا بالتضلع فى النحو واللغة والأدب ، فتناوله لمسائلها تناول المتصنع الخبير والخريت الماهر الذى يصل إلى غايته من أقرب الطرق ، ويلبس المعانى أثوابها المناسبة الموفية بالغرض .

ولقد قدم المطرزى لشرحه بمقدمة ذكر فيها بعض قواعد البلاغة لتكون معياراً يزن به القارىء مقامات الحريرى ، ويعرف مكانها من كلام الفصحاء ، فتكلم عن الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه ، وعن الفصاحة والبلاغة ، كما تكلم على بعض أنواع البديع كالتجنيس والاشتقاق ، ورد العجز على الصدر ، ولزوم ما لايلزم ، إلى غير ذلك من مسائل البلاغة التى اصطنعها الحريرى فى مقاماته ليعطى القارىء فكرة عنها حتى يكون على ذكر لما يرد فى شرحه منها ، وضرب لكل منها مثلا من كلام الفصحاء ومن المقامات نفسها ، كما تعرض لشرح معنى المقامة ، وشرح معنى المثل ، واعتمد فى أكثر ذلك على كتب عبد القاهر بل على عباراته ذاتها ، ويقول فى ذلك : ولما فرغت من شرح هذا الكتاب وفسّرته وعبرت بسفينة التوفيق إلى ساحل بحره ، بعد أن خضت فى غمار عمانه ، وغصت على لآليه وجمانه ، وميزت بين ضعيفه ومتينه ، ووقفت على غثه وسمينه ، وعرفت لجينه من لجينه ، وهجانه من هجينه ، أردت أن أطلعك على مستملحه ومستحسنه ، ومستقبحه ومستهجنه ، وأعطيك محك النقد ، وأرمى إليك زمام الحل والعقد ، وأنصب لك معيار التمييز حتى تفصل بين الخشب والإبريز ، وليس لى أن أوقفك عليه أو أوصلك إليه ، إلا بأن أكشف نقاب البلاغة ، وأوضح أسباب الفصاحة .

والمطرزى وإن غلب عليه النحو واللغة إلا أن له فى الأدب قدماً راسخاً ، وقلماً قوياً رائعاً ، وذوقاً لطيفاً فذاً ، فلا تروقه الصياغة اللفظية ، ولا يحمدها إلا إذا استجرها المعنى واقتضاها المقام . ويقول : واعلم أن هذه الأجناس التى ذكرنا لا تحسن حتى يساعد اللفظ المعنى ، ولا تستلذ حتى تكون عذبة الإصدار والإيراد ، سهلة سلسة القياد . . . ولا تملح حتى يوازى مطبوعها مصنوعها ، وإلا فما قلق فى أماكنه ، ونبا عن موقعه ، فبمعزل عن الرضا عند علماء البيان ، وبمكان من البشاعة لدى أرباب النثر وأصحاب النظم ، فإذا أردت أن تستوفى

أقسام المحاسن ، وتجتنب أنواع المشاين ، فارسل المعانى على سجيتها ، ودعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ولا تلبس من المطارف إلا ما يزينها .

وبهذه الروح الأدبية والقلم القوى تولى المطرزى شرح المقامات ، ولم يسترسل فى شرح أكثر ألفاظها كما صنع غيره . ولكنه تناول بالشرح ما غلب عليه الغموض والغرابة من ألفاظها وعباراتها وإشاراتها بالقدر الذى يكشف عن المعنى ، وتجنب الحشو والاستطراد ، وجمع بعض موضوعات العلوم ، وغلبت عليه ثقافته اللغوية والنحوية فتعرض لبعض مسائل النحو واللغة والبلاغة ، وحاول فى شرح الألفاظ اللغوية أن يرجع بها إلى معانيها الاصلية ليعقد الصلة بينها وبين المعنى المراد ، كما حاول أن يكشف عن معانى الاستعارات والكنايات بالطرق الفنية المعروفة لارباب هذه العلوم . وفى كل ذلك برزت ثقافة المطرزى اللغوية والنحوية .

وشرح المطرزى على المقامات شرح موجز اقتصر فيه على ما يحتاج إلى الشرح منها كما ذكرنا . ويقول فى تعليل ذلك : ولما خرج - كتاب المقامات - مقبول النظام ، متداولا فيما بين الأنام ، أكب أبناء زماننا على تحصيله ، وواظبوا على تفهم جملته وتفصيله ، غير أن أكثرهم ربما خبطوا فيه خبط عشواء ، إذا وقعوا منه فى معضلة عميا ، ولا يهتدون إلى سواء السبيل ، بل يترددون فى تيهه بلا دليل ، فأردت أن أخوض فى عبابه ، وأروض لبعض طلابه ، ما تعسر من صعابه ، وأسهل مسالك شعابه ، وآتى كل معمى من بابه ، وأستكشف كل غامض ، وأستخرج سر كل حلو وحامض ، وافصل ما أجمل ، وأبين ما أغفل ، وأحل ما أشكل ، بعد أن تصفحت قوانين الأدب ، وقلبت دواوين العرب ، ونفضت أوعية الحكايات ، وقطعت أودية الروايات ، مع مراجعة الشيوخ الذين عضوا فى العلم بنواجذهم ، ورموا غرض الإصابة بنوافذهم ، فحين صمم عزمى ، وصاب سهمى ، حكيت من مقالاته ، ما غلب على ظنى أنه من مشكلاته . ففسرته بتفسير كاف ، وحللت عقده ببيان شاف .

وإنا نورد هنا أنموذجا من هذا الشرح . قال فى شرح بعض عبارات المقامة الأولى : « هدرت شقاشق ارتجاله » هى جمع شقشقة وهى فى الأصل لهاة البعير يخرجها من فيه

إذا هدر . قال الغورى : ولا يعرف منه فى غير تلك الحال . ثم لما شبه الفصيح بالجمل الهادر شبه لسانه بالشقشقة . وارتجال الخطبة أنه يتكلم بها من غير أن يكون هيأها من قبل ، وكأنه من ارتجال الفرس أو من ترجيل الشعر . « السادر » هو الذى تاه فى غيه وتحير . وقيل : هو الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع ، من السدر وهو فى الأصل تحير البصر ، ومنه السمادير وهو ضعيف البصر عند السكر والدوار ، والميم زائدة . « الغلو » العلو والسرف ، يقال : خفض من غلوائك . وقال ابن فارس : وهو أنه يمر على وجهه جامحا . وأنشد :

لم تلتفت للـــداتها ومضت على غـــلوائها

وغلو الشباب : أوله . وهذا التركيب يدل على الارتفاع ومجاوزة القدر ، ومنه الغلو فى الأمر والغلاء فى السعر والمغالاة والغلا فى الرمى وتغالى النبت لارتفاعه ، وأما الغالية من الطيب فإنما سميت بذلك لأنها غالية فى القيمة . وهى من الصفات الغالبة . « السادل ثوب خيلائه » يقال سدل الستر إذا أرخاه ، وستر مسدول ومنسدل وأرخى الليل سدوله وسدل وستر أخوات ، والخيلاء فعلاء من الخال وهو الكبر ، ومنه قول الشاعر :

تخيل وإن كنت للخال فاذهب تخل

واختال فى مشيته وتخيل وخايله فاخره ومنه سميت الخيل لاختيالها فى المشى .

وقد لقى هذا الشرح قبولا من العلماء ومدحه بعضهم فقال :

مثل المطرز للحريرى مثل المطرز للحرير
وشى حدائق لفظه بزواهر الشرح النضير
فغدت دياجى المشكلا ت تضىء كالصبح المنير

وقد سمى المطرزى شرحه بالإيضاح . والمطرزى هو النحوى اللغوى الاديب أبو الفتح أو أبو المظفر ناصر بن عبد السلام بن على المطرزى ، أخذ عن الزمخشرى وبرع فى النحو واللغة والفقه على مذهب أبى حنيفة ، وكان خليفة الزمخشرى وكان معتزليا ، له المقامات والمغرب فى لغة الفقه ومختصر الإصلاح لابن السكيت .

وبالمكتبة الأزهرية نسخة من هذا الشرح تقع فى ١٧٨ ورقة من الحجم المتوسط ، تمت كتابته سنة ١١٢٩ هـ بخط شهاب الدين أحمد المنصورى خادم الشريعة بمدينة المنصورة من نسخة شيخه عبد الجواد الشربينى التى كتبها بخطه سنة ١٠٦٥ ، وبدار الكتب نسخة أقدم

لغويات

أورِنى الكتاب، ورِّينى القلم

لقد سمعت هذا الأسلوب منذ دهر فى حداثتى من رجل ذى شأن يملى على آخر، فيقول فيما يمليه: «أورانا ...»، وأنكرت يومئذ هذا، وقلت: أفلا يدرى هذا الرجل أن الصواب أرانا، وهو من الظهور بحيث لا يخفى على من له إلمام بالعربية، وكانت دهشتى بالغة أمدها حين قرأت فى أساس البلاغة للزمخشرى: «وسمعتهم يقولون: أورنيه. وهو من الورى، أى أبرزه لى». فالزمخشرى يروى ما أنكرته ويقره فى معجمه. والقارىء يرى الزمخشرى لبيقا بنفى ما يقدح فى العبارة بإخراجها من مادة الرؤية إلى مادة الورى، ويرى من القرابة فى المعنى ما يصحح هذا الاشتقاق، فورى الزناد خروج النار منها بقدحها، ويقال من هذا أورى النار أى أخرجها من الزناد وأبرزها منها وأنبطها، وإذن ففى المادة معنى الإبراز والإظهار، فمن هذا جاء أورنيه أى أبرزه لى، وهو ما سمعه الزمخشرى من معاصريه وصححه بهذا التخريج، وإذا ساغ للزمخشرى أن يسوغ ما سمعه فلنا أن نسوغ ما نسمعه فى عصرنا فى هذا المعنى، وهو: ورِّينى القلم أى أبرزه لى. ولا فرق بين الاستعمالين إلا أن فى الأول التعدية بالهمزة، وفى الثانى التعدية بالتضعيف، والتعديتان تتعاقبان وتتواردان.

ويطيب لى أن أذيل كلام الزمخشرى بهذه النظرات:

من هذه النسخة. وإن هذا الشرح جدير بعناية العلماء والناشرين، وبه على اختصاره كثير من دقائق اللغة والنحو، وحاجة الخاصة إليه أشد، وفائدتهم به أكمل.

وللمطرزى فى كلمة الختام عبارات تحتاج إلى إغماض الطرف إذ يقول: «إنه لم يسبق إليه أحد فأحذو بمثاله، وأنسج على منواله، بل جمع مخترع، وصنع مبتدع، فلقد شرحت المقامات قبله شروحا كثيرة كما ذكر صاحب كشف الظنون.

وقد ولد المطرزى سنة ٥٣٨ وتوفى سنة ٦١٠ هـ؟

أبو الوفا المراغى

١ — اعتمد الزمخشرى على سماعه من معاصريه . وقد كان مجاورا بمكة وفيها بقية من العرب على إرث من العربية ، وكان ذلك معروفا من شأنه وخلقه ، تراه مبثوثا فى كتبه . ففى الكشاف فى تفسير قوله تعالى فى سورة طه : « إنه لكبيركم الذى علمكم السحر » . لكبيركم : لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة فى صناعتهم ، أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم : أمرنى كبيرى ، وقال لى كبيرى كذا ، يريدون معلمهم وأستاذهم فى القرآن وفى كل شىء » . قلت : وأهل مصر يسمون معلم القـــرآن سيدنا ، وفى الأساس فى مادة (ش ق ق) : « وسمعت بمكة من يقول لحامل الجوالق : استشقّ به ، أى حرّفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب » . وفى مادة (ط ن ف) : « وأهل مكة يبنون حول السطح جديرا يسمونه الطّنف والجدير تصغير الجدْر وهو أصل الجدار[1] . وفى مادة (ض ى ع) : « وسمعت منهم من يقول لبغلة : ما ضيعة هذه المجينينة إلا قضب الأمراس » . والضيعة هنا الحرفة والصنعة ؛ كما فى قولهم : كل رجل وضيعته . والمجينينة تصغير المجنونة ، والأمراس جمع المرَس وهو الحبل . وقضبها : قطعها ، يقول : إن هذه البغلة مولعة بقطع الحبال كأنما حرفتها ذلك . وقد كتب فى طبعة الأساس : قصب الأمراس فالتوى علىّ المعنى حتى تنبهت على التصحيف . وفى الأساس : « وشدّه بالمرس وهو الحبل . وهو يقضب الأمراس من مرحه » .

٢ — المتبادر من « أورنيه » أنه من الرؤية ، وعلى هذا يكون لحنا ؛ كما كنت أعتقد من قبل . ولكن الزمخشرى أخرجه من اللحن بالتخريج السالف ، وكان يسعه أن يرميه بالخطأ ويستريح . ويشهد هذا لما أحاوله فى بعض الحين من تصحيح الأساليب العامية . وقد عاب علىّ ذلك بعض الباحثين .

٣ — قد يناقش تخريج الزمخشرى بأن الوارد فى اللغة أورى النار أى أبرزها والفعل فيه متعد لواحد ، والعبارة التى سمعها « أورنيه » الفعل فيها متعد لاثنين ، وهذا يقدح فى تخريجه . ويجاب بأن الأصل : أوره لى ، فحذف الجار وأوصل الضمير ، وهو ما يعرف عندهم بالحذف والإيصال ، وهو عندهم شائع مستفيض ، وإن توزع فى قياسه . وأذكر هنا أن الزمخشرى ولد سنة ٤٦٧ ، وتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

---

(١) الجدر — ومما نحفظه عن الزمخشرى من لغة الحجاز فى عصره أنه كان راكبا شقدفا كبيرا ، فسأل الأعرابى الذى يتولى أمر الشقدف عما يسمون به الشقدف الكبير ، فأجابه : نسميه « شقنداف » فاستدل به الزمخشرى على أن زيادة الحروف فى بناء الكلمة تدل على زيادة فى معنى مدلولها .

مكتبتنا العربية

التواجد = الحضور

يستعمل التواجد فى هذه الأيام فى معنى الحضور والوجود . وأسمع كثيرا فى الإذاعة : فى وزارة الحربية الوظيفة الفلانية ، فمن أرادها فعليه التواجد بالمكان الفلانى .

والتواجد ذكره الزبيدى فى مستدرك التاج فقال : « تواجد فلان : أرى من نفسه الوجد » . والوجد مصدر وجد بفلانة إذا هويها . ويأتى أيضاً مصدر وجد إذا حزن . فالتواجد تكلف الوجد بمعنى الحب أو الحزن . ولا يأتى فى معنى الوجود .

وقد استعمل الصوفية الوجد والتواجد فى معان خاصة لهم ، فدخلا فى مصطلحاتهم . وفى كشاف التهانوى : « الوجد : مصادفة الباطن من الله تعالى واردا يورث فيه حزناً أو سروراً يغيره عن هيئته أو يغيبه عن أوصافه بشهود الحق » . ويقول الغزالى فى كتابه : « الإملاء على مشكلات الإحياء » المطبوع على هامش الإحياء : « التواجد : استدعاء الوجد والتشبه فى تكلفه بالصادقين من أهل الوجد » . فالتواجد تكلف الوجد لا الوجود . ويحسن بعد هذا العدول عن هذه الكلمة إلى العربى المعروف كالحضور والوجود .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الملبس

الملبس معروف عند الناس لضرب من الحلوا . وينطقون به بكسر الباء . وقد وقفت فى خطط المقريزى على تاريخ إبداعه وأولية صنعه . ويؤخذ منه أنه فى الأصل لب الفستق الملبس بالسكر الأبيض . فهو إذا فى وضعه الأصلى بفتح الباء . وقد ذكر معه المقريزى ضربا من الكعك كان يحشى بالسكر ، وكان يسمى : افطُن له . وإنى أسوق هنا كلام المقريزى . وهو فى الحديث عن ابن ميسر أحد قضاة مصر فى عهد الفاطميين بمناسبة الكلام على جوسق ابن ميسر فى الجزء الرابع : « وكان فيه كرم . سمع بأن المادرائى عمل فى أيامه الكعك الصغير المحشو بالسكر المسمى : (افطن له) فأمر هو بعمل لب الفستق الملبس بالسكر الأبيض الفائق المطيب بالمسك . وعمل منه فى أول الحال شيئاً عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد ، فمضى فيه جملة ، وخطف قدامه ، تخاطفه الحاضرون . ولم يعد لعمله ، بل الفستق الملبس . وهو أول من أخرجه بمصر . وكان قد سمع فى سيرة أبى بكر المادرائى أنه عمل

هذا الأفطن له ، وجعل فى كل واحد خمسة دنانير ، ووقف أستاذ على السماط فقال لأحد الجلساء : افطن له . وكان على ذلك السماط عدة صحون من ذلك الجنس ؛ لكن ما فيها ما فيه دنانير إلا صحن واحد . فلما رمز الأستاذ لأحد الجلساء على سماط المادرائى بقوله : افطن له وأشار إلى الصحن تناول الرجل منه فأصاب ذلك فاعتمد له فحصل له جملة . ورآه الناس وهو إذا أكل يخرج شيئا من فمه ويجمع بيده ويحط فى حجره . فتنبهوا وتزاحموا عليه . فقيل لذلك المعمول من ذلك الوقت افطن له » . والفانيذ ضرب من الحلوى يعمل بالنشا ، وهو بدل من السكر ، يريد أنه ليس ملبسا بالسكر الخالص ، وهو يوافق الملبس فى عصرنا . والأستاذ : الخصى يقوم بالخدمة ، ويقال للماهر فى صنعته . وكانت وفاة ابن ميسّر صاحب الملبس فى سنة ٥٢٦ هـ .

وقف وقفة الشجاع

وقع السؤال عن ضبط « وقفة » فى هذا المثال ، هل هى بكسر الاول أو بفتحه . وإنى أجيب اليوم ولم يستبن لى الامر بصورة تثلج الصدر وتورث اليقين ؛ إذ لم يتوافر لى ما يبين عن الجلية فيه . وأرجو أن أوفق فى مستقبل الأيام إلى مزيد من العلم به فأوافى به القراء إن شاء الله .

وأرى أنه إذا أريد الهيئة كسر الاول . وذلك إذا كان لصاحب الحدث هيئة خاصة فى تعاطيه ومعالجته ، وإذا لم يرد ذلك فتح الاول . وهو فى الأول اسم هيئة ، وفى الثانى اسم مرة ، واسم المرة هنا يلتحق بالمصدر النوعى بإضافته أو وصفه ، وإن كان المعروف فى النوعى أن يأتى فى المصدر العام ؛ نحو قوله تعالى : فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر .

ومثال الاول الذى فيه الكسر أن تقول : وقف وِقفة نابليون ، وقد عرف أن له حالة خاصة فى الوقوف والشخوص فقد كان يضع يديه وراء ظهره ، وفى مناظر الخيالة (السينما) يشاهد شرلى شبلن ذا وقفة خاصة . فإذا قيل : وقف وقفة شرلى شبلن كان ذلك بالكسر . ومن هذا قول البحترى فى مدح المتوكل :

ومشيت مشية خاشع متواضع لله لا نزهى ولا تكـــبر

والفتح يكون فى نحو قولك : نظر إلىّ نظرة الحب أو الموجدة . ومنه قوله تعالى فى سورة الحاقة : « فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية » . وفى الأساس : « ثوب مطوى ، وأثواب مطاوى ، وطواه طية واحدة ، وطية حسنة » والذى يدخل فيما نحن فيه المثال الأخير ، وقد ضبط فيه بالفتح . ويقول البحترى فى مدح أبى الخطاب :

ودع الخطوب فإنه يكفيكها ... من حيث واجهها أبو الخطّاب
خرق إذا بلغ الزمانُ فِناءه ... نكصت عواقبه على الأعقاب
نصر السماحَ على التلاد ولم يقف ... دون المكارم وقفة المرتاب

الخرق الكريم الذى يتخرق فى الكرم ولا يراعى القصد ولا يلزم الكيس والعقل ، والتلاد : الأموال . يقول : إنه آثر الكرم على المال ، وكأنما تدعوه الأموال أن يضن بها فنصر السماح عليها إذ أجاب داعيه ، والظاهر أنه يجوز هنا الفتح والكسر على حسب إرادة المرة أو الهيئة ، وكذلك جاء قول جساس - على ما فى شعراء النصرانية ١ / ٢٤٩ - :

إنى ورب الشاعر المغرور ... وباعث الموتى من القبور
وعالم المكنون فى الضمير ... إن رمت منها معقر الجزور
لأثبتن وثبة المغير ... الذئب أو ذى اللبدة الهصور
بصارم ذى فنن مشهور

وقد ضبط فيه « وثبة » بكسر الأول على أنه للهيئة ، ولا يتعين هذا ، بل يجوز فتحه على أنه للمرة . ومما جاء فيه الكسر قولهم : مات ميتة سيئة ؛ إذ ليس المراد المرة بل الهيئة والحالة ، وفى اللسان : « والميتة : الحال من أحوال الموت كالجلسة والركبة . يقال : مات فلان ميتة حسنة ، وفى حديث الفتن ، فقد مات ميتة جاهلية . هى بالكسر حالة الموت ، أى كما يموت أهل الجاهلية من الضلال والفرقة » وفى الأساس : « مات موتة لم يمتها أحد ، ومات ميتة سوء » وتراه يسوغ الموتة هنا ، والغرض منها الحالة اعتماداً على إفادة الحالة من الوصف ، ومقتضاه أنه يقال : مات موتة سوء ، وفى تصحيح التصحيف للصفدى : « ويقولون : موتة سُوء ، والصواب : ميتة سَوء » ؟

محمد على النجار

البطل الفاتح

سعد

كان سعد بن أبي وقاص من أعلام الفاتحين فى صدر الإسلام ، وكان أول من أراق فى الإسلام دماً ، وأول من رمى فى سبيل الإسلام سهماً ، وقد سبق الفتيان إلى الإسلام . فأسلم وهو فى التاسعة عشرة من عمره بدعوة الصديق أبى بكر ، وقد أخذ الإسلام بقوة ، وتعصب له طفرة ، كأنه فيه ذو نسب عريق ، فهو له صديق أى صديق ، ما حاد عن الحق قيد شعرة ، ولا أدركته فى إيثاره ونية ولا فترة ، فاستحق أن يكون أحد العشرة المبشرة . وهم الذين صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيهم :

« أبو بكر فى الجنة . وعمر فى الجنة . وعثمان فى الجنة . وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة . وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة . وسعد بن أبى وقاص فى الجنة . وسعيد بن زيد فى الجنة . وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » .

وقد جعله عمر بن الخطاب فى الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وهم أصحاب الشورى فى الخلافة بعد عمر .

وبعد فما ظنك برجل يفديه رسول الله صلوات الله عليه بأبويه فيقول : « ارم فداك أبى وأمى ! » إن هذا لشىء عجيب .

وما ظنك برجل يفتخر به رسول الله صلوات الله عليه فيقول : « هذا خالى ، فليأت كل رجل بخاله » . وهل تجمع السعادة لإنسان ، فى أكثر مما جمع النبي صلى الله عليه وسلم فى دعوته لهذا الإنسان : « اللهم استجب دعوته ، وسدد رميته » فهو يسأل الله سبحانه ما شاء ، لنفسه ولمن شاء ، ويناضل حيثما كان ، مع كل خصم للإيمان . اللهم إن هذا نمط يجدر أن يقف المؤمن عليه ، وأن يحوم بروحه وعقله حواليه ، عسى أن يتجدد فى قلبه إيمانه ، وأن يزيد فى الله والعمل الصالح صدقه وإيقانه ، فيسلم من ورطات الهوى والشهوة ، ويكون فى الدنيا والآخرة من الفائزين .

ذلك أيها القارىء الكريم هو الصحابي الجليل سعد بن مالك ، أبي وقاص ، ابن وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب [١] ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس .

جمع له الشرف من عبد مناف في أبيه ، ومن عبد شمس في أمه . ونشأ خصيب الاستعداد ، سليم الفطرة ، قوى النزعة ، لا يخالط نفسه الكريمة خبيث من جفاء الجاهلية وتضلالها ، على شدة شكيمته ، وصلابة عوده . لقد كرمه الله سبحانه فوهب ما منحه من قوة وصلابة لله وللحق ، وكذلك يهدى الله لنوره من يشاء ، فيوجه غرائزه وصفاته لما ينفع صاحبه وينفع الناس ، ويحقق خلافة الله الحق في الأرض .

لقيه أبو بكر في بعض جهات مكة المكرمة - وهو فتى قد سلخ ثمانية عشر عاماً على ما يختلف المؤرخون في ذلك - فحين دعاه إلى الإسلام وأظهر له ما فيه من حق وسعادة للأنام ، سارع إلى النبي صاحب الرسالة يسأله ما خطبه ، وما الذى جاء به ، وكأنما كانت روحه الصافية تنبو بهذا الباطل الذى تعج به بطحاء مكة . وكأنما كان يعتلج في نفسه ، ويصطخب في دخيله ذلك الشجار بين باطل التقاليد الموروثة ومنطق الحق ، والخصومة بين ضلال يموه تضافر الأشراف على نخوة الجاهلية ، وهداية يهديها واهب المواهب كلها إلى نفس يريد ليطهرها فتسرى فيها مسرى النور ، وتختلط بها اختلاط الخمر بالمقرور . فما هو إلا أن وقع على ذلك النور فتشبث به ، ينشد فيه ضالته ، فيشفى به ما في صدره . فأخذ الإسلام من صاحب الدعوة ، واحتضن الإيمان الصادق ، والدين الخالص ، من منقذ العالم صلى الله عليه وسلم .

* * *

ولقد كان مما يحدوه ويدفعه ويسوقه إلى هذا الدين الجديد ويرشحه ، أنه رأى فيما يرى النائم كأنه كان في ظلمة لا يبصر ، ثم أضاء له قمر ، فبدد ذلك الظلام ومحاه ، وأراه قصده وهداه ، ثم نظر فإذ أمامه أبو بكر وعلى وزيد بن حارثة ، وكأنه يسألهم : متى انتهيتم إلى هنا ؟ قالوا الساعة . فلما عرض عليه أبو بكر الإسلام كان متهيئاً له تهيؤاً قريبا ، فلقى النبي صلى الله عليه وسلم ، في شعب « أجياد » يدعو إلى هذا الدين الكريم مستخفيا ، فآمن به ، وكان أول من أسلم من الفتيان .

---

[١] ويقال لسعد إنه خال النبي صلى الله عليه وسلم لقرابته من السيدة آمنة ، وأقارب الام أخوال

فسعد مسلم نشّأه الإسلام معه ، وصنعه محمد ﷺ على عينه فقومه ، يسير مع هذا الدين جنباً إلى جنب ، ويصير حيث يصير الحق والتقوى من غير تردد ولا فشل . دخل فى الإسلام فاختلط بلحمه ودمه ، ووهب نفسه لعبادة الله وحده ، والجهاد فى سبيله . وكان أول محنة جرت عليه فجازها ناجحاً موفقا التواء أم كان أبر الناس بها ، وأعرف ما يكون لحقها . لقد كان امتحاناً قاسياً جباراً ، ولكن سعداً ضرب فيه المثل للمؤمن الحازم الموفق الذى لا تحكم فيه العاطفة ، وهو الرجل الذى عصمه الله من نزق الجاهلية وطيشها ، ووجهه وجهة الجد فى حياته ، فبينما الشبان يعكفون على لهوهم وميول شبابهم يروونها إذا هو عاكف على النبال يصطنعها ويبريها ويثقفها ، فهو فوق العاطفة وحكمها .

استمع إليه يحدثك عن أمره ، وعن خطبة بينه وبين أمه .

قال سعد : لما أسلمت وكنت رجلا باراً بأمى . قالت : يا سعد ، ما هذا الدين الذى أحدثت ؟ لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى ، فقلت : لا تفعلى يا أمى ، فإنى لا أدع دينى . ومكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب ، فأصبحت وقد جهدت . فقلت : والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت هذا الدين لشىء ، فلما رأت ذلك أكلت وشربت ، فأنزل الله سبحانه : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً » .

وهكذا يؤيد الله الصادق . وهكذا يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت .

أرأيت أيها القارىء الكريم لو أن سعداً ساير هذا الحب العميق والبر الموغل ، فأشرك بالله سبحانه ، وعدل عن الحق الذى ظفر به ، ولو مرضاة لأمه وإبقاء على حياتها ، أما كان ذلك خسرانا أى خسران ، وتميعا فى الحياة لا يستقيم عليه شأن ؟ ولكنه الثبات فى الحق ، والعزيمة على الرشد والصبر على الخير ، ثم يقضى الله ما يشاء بحكمته راضيا مرضياً .

وهكذا فليكن المؤمن فى صلابته وثباته على الحق .

وهذا درس عملى لكل مؤمن يسام خطة الباطل ، ويراد على غير الهدى .

* * *

أول دم أريق فى الإسلام . وموقف سعد فى أحد

موقفان عجيبان من مواقف هذا البطل المجاهد الذى خلق ليكون بطلا مجاهدا مستبسلا مضحيا لا يفكر فى العواقب ، ولا يرضى لنفسه إلا أكرم المواقف .

الموقف الأول : بينما المسلمون الأولون يستخفون بعبادة الله سبحانه وتعالى ويسترون على أنفسهم ويفرون بدينهم ويهابون القوة فى من لا يخافون الله من جبابرة الأرض ، إذا سعد يعبد الله مع بعض صحابته من المستخفين الذين يتبعون خطة الإسلام وسياسته ، ولكنه حين يواجه يدافع عن نفسه وصحبه ، ويضرب الباطل فى عصابته ، لا يفر ولا يهرب من وجهه . حدث التاريخ قال :

كان سعد فى نفر قليل من أصحابه يصلون مستخفين والمشركون يتعقبونهم ، ويقتفون آثارهم . فسمعوا أن سعدا ورفقته يعبدون الله فى شعب يلوذون به ، فصاروا إليهم ، وسفهوا أحلامهم . وعابوا إسلامهم ، واشتد الخوار ، ثم قام الشجار ، والتحم الفريقان ، فأخذ سعد بلحى جمل[1] فتناول به رجلا من قريش فشجه ، فكان أول دم أريق فى الإسلام .

فماذا أصاب سعدا بعدها ؟ لقد خسرت فئة الضلال ، وكان سعد هو سعد الذى يسير فى طرق مكة وشعابها لا يبالى أحدا ولا يجرؤ عليه مخلوق فيها . وهكذا تكون عاقبة الإقبال ومغبة الكرامة والقوة التى سجلت لسعد أنه أول من أراق دما فى الإسلام .

الموقف الثانى : مقامه فى أحد الذى فدى فيه الرسول صاحب الدعوة العظيمة بنفسه ففداه صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه ، ويالها من كرامة ومنزلة .

قالوا : إن سعدا فى أحد لما مس المسلمين قرح قد مس المشركين قرح مثله ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، وقف مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد اقتحم عليه المشركون وهموا بقتله وقد جرح وجهه وكسرت رباعيته ، وكان موقفه موقفا لم يعرف لأحد سواه ، فقد أرجف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فذهب سعد إليه كالأسد المصور ، ونحى عنه من حوله من المشركين ، ووقف أمامه يناضل عنه يمينا وشمالا ، ويدفع عنه (والله معه) كل من يهم أن يناله بأذى فى كل ناحية وهو رابط الجأش ،

---

(١) اخذ بفك جمل ميت .

قوي الحس في موقف تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتشيب النواصي من أهواله. وكان أن نجى الله رسول الله بإخلاص سعد وجلده ووفائه لمن أنجاه من الشرك ، وأنقذه من ظلمات الجهل والكفر . وكان أن نال من الله ورسوله وسام التفدية بأبوى النبي حين بلغ من إعجاب النبي غاية ما يكون الإعجاب ، فما يشعر الناس إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه بهذه النفحات المباركة « ارم يا سعد . ارم أيها الغلام القوى. ارم فداك أبي وأمي ». وبعد فما أنت يا سعد وكل هذا التكريم؟ ولكنه الجزاء العدل ، والإحسان والفضل لمن أحسن كل الإحسان . فليهنك يا سعد ، ثم ليهنك يا سعد ، أنك مفدى بأبوى سيد المرسلين ، ثم أن تجد بركة رضاه عمليا . فإنه بعد أن جمع له أبويه ، وضع حظ الدنيا والآخرة في يديه ، فقال : « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » فما دعا لنفسه ولا لأحد أو عليه إلا أجاب الله دعوته ، وما رمى سهما إلى رمية إلا أصاب رميه . وقد شهد سعد مع النبي ﷺ بدراً والخندق وغيرهما من مشاهد الإسلام ، فما كان إلا شرفا ونجدة ودفاعا صادقا .

وقد بلغ من تقديره لجهاده واعتداده به أنه لما حضرته الوفاة دعا بجبة خلق من الصوف فقال : « كفنوني فيها ، فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي علي ، وإنما كنت أخبئها لهذا » ولعل مما دعا سعدا إلى حفظ هذه الجبة بعينها أنها شهادة له بغزوة بدر ، وهي الغزوة المشهودة التي تشرف الإسلام وأهله ، والتي غفر الله لجميع من حضرها واطلع عليهم فقال: يا أهل بدر اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم .

وفي القادسية :

ويسجل التاريخ لسعد يداً بيضاء أخرى على الإسلام في غزو الفرس خارج الجزيرة العربية وهم قوم أولو بأس شديد ، ولهم من العدد والقوة ما كانوا يسخرون بسببه بالمسلمين ويقسمون قبل بدء القتال بالشمس والقمر لا يرتفع الضحى غدا حتى نقتلكم أجمعين . لقد كانت واقعة القادسية من أعجب آيات الله وأقوى دلائله على أنه يؤيد هذا الدين بمن يختار من عباده المؤمنين الصابرين ، فيخرق لهم العادات ، ويؤيدهم بشتى الكرامات .

يقول المؤرخون : إنه لما آلت الخلافة إلى الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب كانت

الجيوش الإسلامية قد أوغلت فى بلاد الفرس والروم ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه وجه جيشاً إلى أطراف العراق بقيادة خالد بن الوليد . ومعه المثنى بن حارثة ، فانتصر على الفرس واستولى على الحيرة والأنبار ، ولكن العرب تقهقروا بعد ذلك أمام جيش الفرس الكثيف الذى أعده يزدجر الثالث آخر ملوك بنى ساسان بقيادة رستم ... وكتب المثنى ابن حارثه إلى عمر بالأمر ، فوجه همه إلى ذلك حتى لا يرجع الإسلام القهقرى ، وقد كان أبو بكر أسلمه إليه منتصرا متقدما .

لهذا أراد عمر أن يقود الجيش بنفسه ، ولكن الصحابة أشاروا عليه أن يبعث رجلا من كبارهم ومن ذوى الكفاية العظيمة وأصحاب الدربة المشهودة ، وأشاروا عليه بسعد ابن أبى وقاص ، فصادف ذلك من نفسه كل الرضا . وكان مما ادخرت الأيام لسعد أن ينقذ كرامة الإسلام فى أخطر المواقف مع فارس . فقد اختاره عمر وأوصاه بتلك الوصية الكريمة : « يا سعد ، يا ابن أم سعد ، لا يغرنك فى الله أن يقال : خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن . إنه ليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته . فالناس شريفهم ووضيعهم فى دين الله سواء ، يتفاضلون بالتقوى ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ يلزمه فالزمه » .

هكذا كانت وصية عمر أمير المؤمنين المؤيد بالحق ، لأمير الجيش سعد الموفق المظفر ، يريد أن يخلصه لله والجهاد الصادق . وتقول الأخبار : إنه أوصاه أن يترفق بالمسلمين ولا يشق عليهم ، وأن يريحهم كل جمعة يوما وليلة ، وأن يذكى العيون بينه وبين العدو ، وأن يتخذ من قواده من يطمئن إلى نصحه . وانتفع القائد العظيم بهذه النصيحة الخالصة . ثم لا أطيل عليك بما استقصته كتب التاريخ من وقائع القادسية ، ولا أتجاوز أن سعدا خرج من هذه الموقعة بنصر عجيب ، حتى قيل إنه أسر بنت كسرى وقتل عددا هد كيان الفرس ، حتى دخل الإسلام كثير من دهاقينهم ، ثم اختط الكوفة التى كانت حينا من الدهر قصبة العراق ومن أعظم مراكز الثقافة فى الإسلام . وولى عمر سعدا الكوفة زمنا ، ثم عزله لوقوع بعض الفتن التى يضيق المقام بتفصيلها ، ولكن عمر لما طعن من المجوسى أوصى لسعد بما يعرف من حقه وفضله فقال : « إن ولى سعد الخلافة فذاك ، وإلا فإننى أوصى الخليفة أن يستعمله ،

فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة ، وكانت وصية كريمة ردت إلى سعد اعتباره . ولقد كان في غنى عن ذلك ، بما سار مسير الشمس من فضل سعد ، ولكنه كالاعتذار من الخليفة والاستغفار في أخطر موقف ، وهو حال الاحتضار . وعمل بهذه الوصاة الكريمة الخليفة الصالح المصلح عثمان بن عفان فولاه الكوفة وأطلق يده في شئون العراق لما يعلمه من بصره بأمورها وحسن تدبيره وسياسته .

خاتمة سعد :

اعتزل سعد أمور الناس بعد الفتنة بشهادة عثمان ، وعكف على التلاوة والعبادة ، ولم يقبل أن يشترك مع طائفة ، وكانت سنه ترشحه لذلك ، وعقله ودينه يأخذه بأمر الحزم والحيطة

أراده بنوه وذووه أن يطلب الخلافة فأبى ، ثم طمع فيه معاوية فحاول أن يضمه إليه ورفض . ومن المؤرخين من يقول إنه وجه إليه بأبيات منها :

أيدعوني أبو حسن علي ... فلم أردد عليه بما يشاء
أتطمع في الذي أعيا عليا ... على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حيا ... وميتا أنت للمرء الفداء

والله أعلم بصحة ذلك ، وإنما الذي ثبت أن سعدا رفض أن ينضم إلى فريق وآثر العافية من الفتنة وأن يلقى الله تقيا برا ، كما كان طول الدهر تقيا برا ، على أن هذه الرواية إن صحت تدل على أن معاوية كان حريصا على مرضاة سعد والتماس البركة والطمأنينة في انضمامه إليه ، ولكنه أبى احتياطا لدينه ، ولم يزل في عكوفه على الطاعة وعمل التقوى حتى اختاره الولي الكريم إلى جواره البر الرحيم ، فكانت وفاته رضي الله عنه سنة ٥٥ خمس وخمسين للهجرة عن اثنتين وسبعين سنة وهو مطمئن إلى لقاء الله ، واثق بإحسانه ورضاه ، كما كان يهنئه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والخيرة من الصحابة الأكرمين ، حتى قيل إن ولده مصعبا لما بكى عند موته قال له : يابني ما يبكيك ؟ إني أقسم على ربي أنه لا يعذبني .

رحمك الله يا سعد ، لقد كان مثلك في صالح عمله ، واطمئنانه إلى مسلكه ، جديرا أن لا يظن بالله إلا خيرا ، وأن تقسم على ربك - وأنت القريب والصالح المجاب والمستجيب - ألا يعذبك الله . وكيف لا وأنت من العشرة المبشرين ، من سيد المرسلين . نفع الله المسلمين بذكراك ، بقدر ما رضي عنك وأرضاك . آمين ؟

محمود أمين النواوي

أسرار الشريعة الاسلامية

فى تقدير أنصبة الزكاة وسائر الصفقات الشرعية

قدمنا فى جزء رجب ذكر « الاوزان والنقود والاكيال » التى كانت معروفة لدى العرب قبل الإسلام ومستعملة فيما بينهم ، وقلنا إنها كانت من صنع دول « مصر والشام وفارس » لا من صنع حكومات العرب ، وقد جاء الإسلام فأقر استعمالها للعرب كما أقر لكل قوم عرفهم منها ، ولكن لا مطلقا بل فى معاملات الناس فيما بينهم فقط .

وأما حقوق الله المعينة كأنصبة الزكاة والديات والكفارات فعين الشارع لفرزها عرف (أهل المدينة) فى الاكيال وعرف (أهل مكة) فى النقود والاوزان .

وقد أتينا بجملتها فى الجداول الثلاثة المتقدمة معينة بوحدة الوزن والكيل (الحجم) المعلومة الآن لجميع العالم وهى (الجرام) المساوى وزن مكعب سنتيمتر من الماء الصافى ليمكن تحويل هذه المقدرات الشرعية إلى أى وزن أو نقد أو كيل فى أى اصطلاح لأى دولة ، إذ وزن الماء وحجمه لا يختلف زمانا ولا مكانا بخلاف وحدة الحب من القمح أو الشعير أو الخرنوب والعدس والخردل فإنها لا تحفظ وزنا ولا حجما .

وهنا نفى بما وعدنا به من تبيان ما اختير من هذه الاوزان والنقود والاكيال لتقدير هذه الصفقات الشرعية فى حياة الرسول ﷺ ، وفى زمن خلفائه الراشدين، وما طرأ عليه تصغير أو تكبير فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفى عهدى الخليفتين معاوية وعبد الملك ، وما استقر عليه رأى الأئمة الاربعة واستمر العمل عليه إلى الآن (سنة ١٣٧٤ هـ) فنقول وبالله التوفيق :

اتفقت روايات المحدثين والمؤرخين والفقهاء على أن نصاب الفضة الموجب للزكاة كان يعد عدا من أشهر الدراهم النقدية وأكثرها استعمالا (زمن النبوة وخلافة أبى بكر) كما اتفقت على أن هذا الاشهر كان على نوعين « د [illegible] صغير وزنه (٤ دوانق) ودرهم أكبر،

مكتبتنا العربية

وزنه (٨ دوانق) وإن كان فى بعض الروايات زيادة نوع ثالث وزنه (٦ دوانق) لكنه لا يعد خلافا إذ أنه الوسط وأشهر من الدرهمين السابقين .

وإنما الأمر الذى اختلفت فيه الروايات حقا ، حاصله : أكان النصاب أعنى (الـ ٢٠٠ درهم) تعد عدا من الأصغر فقط أو الأكبر فقط أو الأوسط فقط على سبيل اختيار العاملين على الزكاة . . . ؟

أم كانوا يعدون من كل من النوعين (نصف الـ ٢٠٠) ومن كل من الثلاثة الأنواع (ثلث الـ ٢٠٠) . . . ؟

والجواب الذى لم يصح غيره أن كلا من هذين الوجهين قد ورد أنه كان معمولا به إلى قرب نهاية خلافة عمر رضى الله عنه على سبيل اختيار العاملين أيضا ، ولم يصح أن أحدهما كان المختص بالعمل حتى أمر عمر فى آخر مدته بحصر العمل فى الوجه الثانى . ومحصله تحديد الدرهم الوسط عيارا لعد النصاب أى الـ ٢٠٠ درهم ، فكانت النتيجة أن يكون وزن درهم الزكاة فى آخر مدة عمر وكل مدة عثمان (٦ دوانق) أعنى (٢٫٨٣٢ جرام) كما دلت عليه الروايات وآثار المتاحف إذ أن المراد بالدانق هنا الدانق الرومانى القديم الوازن (٠٫٤٧٢ جرام) . . .

وبناء عليه يكون وزن كل من الدراهم الثلاثة هكذا :

٨ × ٠٫٤٧٢ = ٣٫٧٧٦ جرام

٤ × ٠٫٤٧٢ = ١٫٨٨٨ جرام

٦ × ٠٫٤٧٢ = ٢٫٨٣٢ جرام

ومن هنا يتبين أن عمل عمر لم يتجاوز اختيار الوسط من هذه الدراهم الثلاثة عياراً لجباية الزكاة توحيداً للعمل . وهو الدرهم الأخير . على أنه داخل فيما أقره النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه الجباية الداخلة فى تخيير العاملين فى حياته ، وأحد ما صدقات الأمر المطلق . . .

مكتبتنا العربية

والجدول الآتى يوضح أشهر دراهم النقد التى اختيرت لتقدير الصفقات الشرعية زمن التشريع وكذا الوحدات التى كانت تتركب منها إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين ومقادير كل بالجرام .

أشهر دراهم النقد ووحداتها عند العرب إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين

أسماء النقود	الوزن بالجرام	النسب								
درهم بغلى صغير	٢٫٧٧٦	٨٥½	٨٠	٦٤	٢٠	١٩٫٢	٨	٢	١½	١
درهم طبرى يزدى	٢٫٨٢٢	٦٤	٦٠	٤٨	١٥	١٤٫٤	٦	١½	١	
درهم طبرى عثمانى	١٫٨٨٨	٤٢½	٤٠	٣٢	١٠	٩٫٦	٤	١		
دانق رومانى قديم	٠٫٤٧٢	١٠½	١٠	٨	٢½	٢٫٤	١			
قيراط رومانى جديد	٠٫١٩٦٧	٤⅔	٤⅙	٣½	١⅓	١				
قيراط رومانى قديم	٠٫١٨٨٨	٤⅘	٤	٣⅕	١					
حبة عبرى جديد	٠٫٠٥٩	١½	١¼	١						
حبة رومانى قديم	٠٫٠٤٧٢	١⅕	١							
حبة عبرى قديم	٠٫٠٤٤٢٥	١								

ثم فى خلافة معاوية أشار عليه زياد بزيادة وزن الدرهم فزاده إلى (٢٫٨٥ جرام) وكان يريد زياد من معاوية أن يجعله (٦ دوانق) كل دانق (٠٫٤٩٢ جرام) وهو دانق رومانى جديد ولذا ضرب هو أى زياد فى الكوفة درهما يساوى $\frac{٢٥}{٢٤}$ من درهم عمر فكان

$$\frac{٢٫٨٣٢ + ٢٥}{٢٤} = ٢٫٩٥ \text{ جرام .}$$

ثم فى عهد عبد الملك بن مروان أشار عليه الحجاج بأن يقر فعل زياد فجعل وزن الدرهم (٦ × ٠٫٤٩٢) = ٢٫٩٥٢ جرام وصار النصاب الموجب للزكاة (٢٫٩٥٢ فى ٢٠٠ : ٥٩٨٫٤) جرام بعد أن كان فى زمن عمر (٢٫٨٣٢ فى ٢٠٠ = ٥٦٦٫٤ جرام) وفى زمن معاوية (٢٫٨٥ فى ٢٠٠ = ٥٧٠ جرام) .

ثم شدد عبد الملك بألا يتبع غير ما أقره حتى فى معاملات الناس ، واستمر العمل عليه مدة الدولة الأموية وكذا العباسية ، فوافق عليه الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد) رضى الله عنهم واستقر العمل عليه إلى الآن .

مكتبتنا العربية

والأمر الذى يجب التنبه له دائماً أن وحدات الأوزان التى كانت مستعمله عند العرب لآخر عهد الخلفاء الراشدين هى وحدات النظام الرومانى القديم، وأما بنو أمية فقد استعملوا وحدات مختلطة من النظامين الرومانيين القديم والجديد ومن وحدات استنتجوها من النظام الجديد كما فى هذين الجدولين .

(نظام رومانى قديم)

أسماء الأوزان والنقود	الوزن بالجرام	الوزن بالحبة
مثقال	٤ر٧٢	١٠٠
دينار	٤ر٢٤٨	٩٠
درهم بغلى	٣ر٧٧٦	٨٠
درهم طبرى	٢ر٨٣٢	٦٠
درهم عتيق	١ر٨٨٨	٤٠
دانق	٠ر٤٧٢	١٠
قيراط	٠ر١٨٨٨	٤
حبة	٠ر٠٤٧٢	١

(نظام بنى امية)

أسماء الأوزان والنقود	الوزن بالجرام	الوزن بالحبة
مثقال ودينار	٤ر٢٢	٨٥ ٥/٧
درهم عبد الملك	٢ر٩٥٤	٦٠
دانق زياد	٠ر٤٩٢	١٠
قيراط عبد الملك	٠ر٢١١	٨ر٥ ٥/٧
قيراط رومانى جديد	٠ر١٩٦٧	٤
حبة رومانى جديد	٠ر٤٩٢	١

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فإن زيادا فى عهد معاوية كان قد استنتج درهما للزكاة من النظام الرومانى الجديد إذ وجد حبته تساوى (٠ر٠٤٩٢ جرام) فجعل الدرهم (٦٠) منها كما أن درهم عمر المشهور (٦٠) من وزن الحبة الرومانى القديم ولم يطاوعه معاوية فيما أراد . . ولكن الحجاج أمكنه إقناع عبد الملك بهذا الرأى فنفذاه كما كان (دينار الزكاة) فى زمن النبوة والخلفاء الراشدين (٤ر٢٥ جرام) فأنقصاه إلى (٤ر٢٢ جرام) ثم قسماه إلى عشرة قراريط كل قيراط (٠ر٢١١ جرام) ثم جعلوا وزن هذا الدينار مثقال وزن للنقود فأطلق عليه الاسمان (مثقال ودينار) وبذلك تم لهم مطابقة القاعدة الرومانية القسطنطينية (كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل) مع أنهما لمثقال ودرهم أنشأهما وحدتين لرطله المسمى أخيراً بالرطل البغدادى، ولما كان وزن هذا المثقال ٤ر٥٣ جرام كان وزن الدرهم $\frac{٤ر٥٣ \times ٧}{١٠}$ = (٣ر١٧١ جرام) وهما للوزن والكيل لا للنقود ولذا لم يضربا نقداً أصلا .

مكتبتنا العربية

والخلاصة أن نصاب الذهب قد جرى عليه تقديران : (أولهما) أن وزنه كان زمن النبوة والخلفاء الراشدين (٢٠ × ٤٫٢٥ = ٨٥ جرام) . (ثانيهما) أن وزنه صار بعد إنقاص درهم الزكاة (٢٠ × ٤٫٢٢ = ٨٤٫٤) من عهد عبد الملك والخلفاء بعده والأئمة الأربعة ...

وأما نصاب الفضة فقد جرى عليه تقديرات أربعة :

التقدير الأول : أيام النبوة وخلافة أبي بكر وأوائل خلافة عمر إذ كان العاملون على الزكاة مخيرين فى عد النصاب من الدراهم على وجهين : (الوجه الأول) كان لهم فيه الخيار أيضا فى عد جميع المائتى الدرهم من أحد الدراهم الثلاثة المشهورة كما فى الجدول ... (الوجه الثانى) اعتبار الدرهم الثالث أعنى رقم ٣ « جدول الأنصبة من الدراهم الثلاثة » فى الجدول عياراً للنصاب بمعنى أن يكون النصاب دائماً مساوياً للوزن (٥٦٦٫٤ جرام) بحيث يكون عدد دراهم النصاب من الأول (١٥٠ درهما) ومن الثانى (٣٠٠ درهم) ومن الثالث ٢٠٠ درهم .

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١	٢٠٠	٣٫٧٧٦	٧٥٥٫٢
٢	٢٠٠	١٫٨٨٨	٣٧٧٫٦
٣	٢٠٠	٢٫٨٣٢	٥٦٦٫٤

التقدير الثانى لنصاب الفضة حصل فى آخر خلافة عمر إذ أمر ان يكون العمل فى جباية الزكاة على الوجه الثانى فقط .

ذلك أنه وجد الدرهم الثالث الوازن (٢٫٨٣٢ جرام) أغلب الدراهم استعمالا ووزنه وسطا بين الأول والثانى هكذا $\frac{٣٫٧٧٦ + ١٫٨٨٨}{٢}$ = ٢٫٨٣٢ جرام

أو $\frac{٣٫٧٧٦ \times ١٫٨٨٨ \times ٢٫٨٣٢}{٣}$ = ٢٫٨٣٢ جرام على اختلاف الروايات ، فأمر بجعله عيارا لنصاب الزكاة وسائر الصفقات الشرعية توحيداً للعمل ولذا سمى (درهم عمر) .

التقدير الثالث : فى خلافة معاوية إذ كبر هذا الدرهم إلى (٢٫٨٥ جرام) بإشارة زياد كما تقدم فصار النصاب (٢٠٠ فى ٢٫٨٥ = ٥٧٠ جراما) .

التقدير الرابع : فى خلافة عبد الملك إذ كبّر الدرهم أيضا إلى (٢٫٩٥٤) جرام فصار النصاب (٢٠٠ × ٢٫٩٥٤ = ٥٩٠٫٨ جرام) .

ثم استمر العمل بهذا الدرهم زمن الدولتين الأموية والعباسية فوافق عليه الأئمة الأربعة واستقر وزنه درهما شرعياً إلى الآن سنة ١٣٧٤ هجرية .

وإتماماً للفائدة رأيت أن أحول هذين النصابين المستقرين فى الإسلام للذهب والفضة إلى الدرهم والجنيه والريال المصرية المستعملة الآن بمصر تطبيقاً للعلم على العمل بالأرقام .

ولما كان للفقهاء رأيان (أولهما) اشتراط خلوص الذهب والفضة من النحاس . و(الثانى) عدم هذا الاشتراط ما دام لم يخرجهما الخلط عن طبيعتهما ، كان لزاما لهذا التحويل أن نعرف مقدار هذا الخلط فى النقود المصرية الآن لتحقق هذا الشرط على الرأى الأول .

ولذا عمدت إلى التحرى عن عيار هذه النقود من (مصلحة الدمغ والموازين) الحكومية بالقاهرة بباب القاضى بالجمالية . وبيانها فى هذا الجدول :

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ملاحظاتنا بالأختام
[illegible]	ذهب	٨٫٥	٧/٨	بورده الدينار الفارسى المضروب وكان يصعب دينار الأسلام
[illegible]	ذهب	٤٫٢٥	٧/٨	بورده الدينار العربى وكان دينار الزكاة فى صدر الأسلام
[illegible]	فضة	٢٨	٥/٦	كان أوقية ورده ونصف رومانى على حد العين أصله ٢٢ ٢٨ جرام
[illegible]	فضة	١٤	٥/٦	كان درهم نصف رومانى (رص) ومكى (مسه) أصله ١٤٫١٦ جرام
[illegible]	فضة	٧	٥/٦	كان درهم [illegible] أصله ٧٫٠٨ جرام
[illegible]	فضة	٢٫٨	٥/٦	كان شهر درهم الزكاة وفرضية عمر عيار الدمغ أصله ٢٫٨٢٢ جرام
[illegible]	فضة		٥/١٠	استحدث قريبا بعد ارتفاع ثمن الفضة وسمى (الصدر ذلك)
[illegible]	فضة	١٫٤	٥/٦	قريب جدا من الدراهم الصغيرة القديمة وسمى (درهم صاغ)

مع العلم بأن جملة الذهب الخالص فى الجنيه المصرى على هذا العيار يكون قدرها هكذا :

(٨٫٥ × ٧/٨) = ٧٫٤٧٢٥ جرام) .

وبناء عليه يكون عدد النصاب بالجنيهات على رأى من يشترط خلوص الذهب

هكذا ٢٠ فى ٤٫٢٢ / ٧٫٤٧٢٥ = ٧٤٫٤ / ٧٫٤٧٢٥ = ١١٫٣٤٦ جنيها مصريا .

مكتبتنا العربية

وأن الفضة فى الريال المصرى الآن تساوى (٢٨ فى $\frac{٥}{٦}$) = ($\frac{١٤٠}{٦}$ = ٢٣$\frac{١}{٣}$ جراماً)

وبناء عليه يكون عدد نصاب الفضة بالريال المصرى (٢٠٠ × ٢٫٩٥٤) ÷ ٢٣$\frac{١}{٣}$ =

$\frac{٣ \times ٩٥٠٫٨}{٢٠}$ = $\frac{١٧٧٢٫٤}{٧٠}$ = ٢٥٫٣٢ ريالا مصرياً سنة ١٣٧٤ وهكذا حساب

سائر الصفقات كما فى هذا الجدول .

تقدير الصفقات الشرعية من الذهب والفضة بالأوزان والعملة المصرية الآن ١٩٥٤

أسماء الصفقات	الوزن الشرعى			القيمة بالجنيه والريال			
	بالمثقال الشرعى ٢٤ قيراطاً	بالجرام ٢٫٩٥٤	بالجنيه	لمن لا يشترط خلوص الذهب والفضة ووزن الجنيه ٨٫٥ جرام ووزن الريال ٢٨ جرام		لمن يشترط خلوص الذهب والفضة وبعيار الجنيه $\frac{٧}{٨}$ وبعيار الريال $\frac{٥}{٦}$	
نصاب الذهب	٢٠	٢٨$\frac{٤}{٧}$	٨٤٫٤	٩٫٩٢	جنيه	١١٫٢٤٦	جنيها
نصاب الفضة	١٤٠	٢٠٠	٥٩٠٫٨	٢١٫١	ريالا	٢٥٫٣٢	ريالا
الدية ذهب	١٠٠٠	١٤٢٨$\frac{٤}{٧}$	٤٢٢٠	٤٩٦$\frac{٨}{١٧}$	جنيها	٥٦٨٫٢٥	جنيها
الدية فضة عند غير أبى حنيفة	٨٤٠٠	١٢٠٠٠	٢٥٤٤٨	١٢٦٦	ريالا	١٥١٩٫٢	ريالا
الدية فضة عند أبى حنيفة	٧٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٩٥٤٠	١٠٥٥	ريالا	١١٢٧$\frac{٤}{٧}$	ريالا
أقل المهر عند أبى حنيفة	٧	١٠	٢٩٫٥٤	١٫٠٥٥	ريالا	١٫٢٦٤	ريالا

وأما صفقات الحبوب والثمار وتقديرها بالكيل الشرعى وبأجزاء الإردب المصرى ومقادير زكاة الفطر على جميع الآراء فوعدنا مقال آخر إن شاء الله تعالى ؟

محمد أبو العلا البنا
مدرس الفلك بكلية الشريعة

عواقب الانهماك

فى طلب الدنيا

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة ؛ ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له .

رواه الترمذى

وعن عبد الله بن مسعود : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : من جعل الهموم هما واحداً - هم المعاد - كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أودية هلك .

سنن ابن ماجه

وفى المجازات النبوية قطعة من هذا الحديث بلفظ : من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقراً بين عينيه .

* * *

اللغة والبيان : يقال : هم بالشىء يهم هما ، إذا نواه وأراده وعزم عليه ، ويؤيد هذا التفسير رواية أخرى لابن ماجه بلفظ : من كانت الآخرة نيته ؛ وتقول : جمع الله شمله ، أى ما تشتت من أمره ، وفرق الله شمله ، أى ما اجتمع من أمره . وفى حديث الدعاء : أسألك رحمة تجمع بها شملى . والسدم بزنة الندم : هو الهم ، فعطفه عليه تفسير ، وقيل هو الهم مع ندم ، وقيل غيظ مع حزن ، وقيل هو الحرص والولوع بالشىء ، والعاشق السدم بكسر الدال : هو الشديد العشق ، وكل ذلك يراد ، وكله يكون لمن تكون الدنيا همه ونيته ، ومعنى تشعبت به أنها فرقت همته ونيته .

وفى إتيان الدنيا راغمة لمن كانت الآخرة همه تشبيه لتيسر أحوالها وانقيادها له بالرغم

الذى هو ذلة الذليل للعزيز ومطاوعته له كما يريد ، وفى المجازات النبوية أن قوله عليه الصلاة والسلام « من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقراً بين عينيه » مجاز والمراد به أن من جعل الدنيا همه ، وقر عليها باله ، وأعرض عن الآخرة بوجهه ، وأخرج ذكرها من قلبه ، وأقبل على تثمير الأموال ، واستضخام الأحوال ، عاقبه الله على ذلك بأن يزيده فقر نفس ، وضرع خد ، فلا تسد مفاقره[1] كثرة ما جمع وعدد ، وعظيم ما أثل[2] وثمر ، فكأنه يرى الفقر بين عينيه ، فهو أبدا خائف من الوقوع فيه ، والانتهاء إليه ، فلا يزال آكلا لا يشبع ، وشاربا لا ينقع ، فمه حرص الفقراء ، وله مال الأغنياء . وقوله عليه الصلاة والسلام « جعل الله فقراً بين عينيه » مبالغة فى وصفه بتصور الفقر فكأنه قريب منه ، وغير غائب عنه ، والأشبه بتأويله هذا أنه من قبيل التمثيل : تمثيل هذا الأمر المعنوى فى شدة استحضار النفس له واشتغالها به ، بحال ما يروع الإنسان ويفزعه من الأمور الحسية التى يشخص لهولها البصر ، ويتعلق بمخوفها النظر . وهذه الطريقة فى تمثيل الأمور المعنوية بالأمور الحسية وفى المبصرات بخصوصها نظير قول القائل ، وإن اختلف الغرض والمعنى :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب[3] عن ذكر العواقب جانباً

وأما قوله ﷺ « ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أودية هلك » فالأيسر فيه أنه تمثيل لحال هذا الذى استهوته همومه الكثيرة المتفرقة ، ومطامعه المختلفة المتنوعة ، فحملته على طلبها من كل وجه ، والتوسل إليها بكل وسيلة ، ثم لم ينل منها ما يبل غلته ، ولا ما يشفى علته ، ولم يكن حظه إلا الشقاء والحيرة ، والندامة والحسرة ، بحال من تفرقت عليه الأودية والشعب ، وضلت به المذاهب والسبل ، فكلما سلك مسلكا بداله فأم غيره ، وكلما انتهج منهجاً تحير فانتهج سواه ، فلا يصل إلى غاية ، ولا ينتهى إلى نهاية ، إلى أن يهلكه كده وتعبه ، ويقضى عليه سعيه ودأبه .

وقوله ﷺ « لم يبال الله فى أى أودية هلك » كناية عن هوانه على الله ، وحقارته عنده ، وأن الله لا يعبأ بمثله .

---

(١) حاجاته . (٢) جمع وادخر

(٣) أعرض

المعنى :

هـذه قسمة عادلة قسمها الله لأحوال خلقه فى ذوات نفوسهم ، وصفات قلوبهم ، قبل أن يزيّل بينهم فى أحوال معادهم ، ويفرق بينهم فى مآبهم وجزائهم ، أن لا يستوى أصحاب الهمم العالية ، والعزائم الماضية ، من طلاب ما عندالله والدار الباقية ؛ وأصحاب الهمم الدنيئة ، من طلاب المطامع والمآثم ، فى هـذه الدار الفانية ، الذين جعلوا الدنيا مبلغ همهم ، وغاية سعيهم ، ومنتهى أمرهم . فهم لها يعيشون ، وعلى متاعها يعكفون ، وفى دناياها يسابقون ويتنافسون . وذلك مصداق قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » فأما الأولون فإن لهم عند الله أن يصلح بالهم وأعمالهم ، ويسدد لهم خطواتهم ويبين سبلهم ، فلا تشعب بهم المسالك ، ولا تنقطع بهم الأودية والمفاوز[1] ، ولا يتفرق عليهم أمر ، ولا يتصدع لهم شمل ، ولا يحبط لهم عمل ، ولا ينقطع لهم أمل . بل لا يزالون يهديهم الله بنوره ، ويسدد خطواتهم بتوفيقه ، فإذا عثر أحدهم عثر ويده بيد الرحمن كما ورد فى ذوى المروءات ، وأنقذه الله كما ينقذ أهل المكرمات ، من ذوى الهمم العاليات ، والنفوس الأبيات . ثم لا يجدون فى قلوبهم إلا الغنى الذى لا يغلبه فقر ، والرضا الذي لا يزلزله بلاء ، والسعادة التى لا يمحوها شقاء ، ولا تعصف بها أعاصير المحن ، ولا تزال القضاء .

وأما الآخرون من أصحاب الهمم الدنيئة والمطامع الرديئة من عشاق الدنيا وعبّادها ، والمولعين بزخرفها ومتاعها ، فأولئك هم الأخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ تراهم هائمين فى كل واد ، متطلبين لأسباب الفساد ، والعلو على العباد ؛ لا يذكرون لله نعمة ، ولا يخشون منه غضباً ولا نقمة ، ولا يرجون لقاءه ، ولا يتقون بلاءه ، فلا يبصرهم بنوره ، ولا يهديهم إلى سبيله ، ولا يعد لهم إلا الضلالة والحيرة ، والندامة والحسرة ، فلا يجدون غنى مهما جمعوا ، ولا رضا مهما أوتوا ، فقرهم بين أعينهم ماثل ، وهلعهم فى قلوبهم نازل ، لا يزالون فاقدين كلما وجدوا ، موحشين كلما أنسوا ، لا يجتمع لهم شمل ، ولا يلتئم لهم صدع ، ولا يستقيم لهم أمر ، ولا يصلح لهم بال ،

---

(١) جمع مفازة ، الطريق المهلكة المخوفة .

مكتبتنا العربية

ولا يستقرون على حال ، ولا يخرجون من ضلال إلا إلى ضلال . استغنوا عن الله فاستغنى الله عنهم ، ولم يستقيموا على سبيله فلم يعبأ الله بهم ، والله هو الغنى الحميد . وكيف لا يكونون كذلك ، وقد خانوا أمانة الله فى أعناقهم ، وأعرضوا عن حكمته فى خلقهم ، إذ يقول : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وذلك هو الحق الأول فكيف يوفق الله جاحديه ، أو يهدى إلى خير منكريه ؟ ! وقد ورد بيان ذلك الحق فى التوراة أيضا : ففيها على مارواه سلفنا : « يابن آدم ، خلقت الأشياء من أجلك ، وخلقتك من أجلى : فلا تهتك ما خلقت من أجلى فيما خلقت من أجلك » فالفرق بهذا بين الموفقين والمخذولين هو أن الآخرين اتخذوا الوسيلة غاية ، والطريق مقصداً ونهاية ، فانقطع بهم ولم يصلوا ، وضلوا فيه وأضلوا .

وقد كان عيسى عليه السلام يعجب ممن هذا شأنهم فيقول : « تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ، ولا تعملون للآخرة ، وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل ؟ ! » ومن المواعظ البالغة فى ذلك ما ورد فى أثر إلهى ، أن الله عز وجل يقول : « ابن آدم . اطلبنى تجدنى . فإن وجدتنى وجدت كل شىء ، وإن فتك فاتك كل شىء ، وأنا أحب إليك من كل شىء » ومن مثل هذا القبس المضىء اقتبس معاذ بن جبل رضى الله عنه قوله : « يابن آدم ، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج ، فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر بنصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما ، وإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبك من الآخرة ، وأنت من الدنيا على خطر » . وعن هذه الموارد صدر الحسن رحمه الله فى قوله : « أهينوا الدنيا ولا تكرموها فإنها والله أهنأ ما تكون حين تهان » .

ألا وإنه من رحمة الله بعباده كما كان قسما عدلا وقضاء فصلا ، أن لا يعطى الطمأنينة والرضا ، والقناعة والغنى . والكرامة والتوفيق ، والعزة والتيسير ، إلا لهذه القلوب التى أقبلت عليه بعزائمها ، وأخلصت له نياتها ، فإن ذلك عون لها على رشدها ، وتجديد لعزائمها ، وتأييد لسعيها ، وتثبيت من أنفسها ، وتزكية لإيمانها ؛ وأن لا يعطى هذه القلوب المتعلقة بالدنيا ، الحريصة على متاعها ، المتفانية فى مطامعها وشهواتها إلا الهلع والجزع ، والهم والسدم ، والغيظ والندم ، والحسرات والأحزان ، لتكون الحالتان عبرة للمعتبرين ، وتبصرة للمستيقنين ، وذكرى للذاكرين « وما يعقلها إلا العالمون » .

قضية شمال القوقاز

والمؤتمر الاسلامى

ينتظم كفاح شمال القوقاز ضد الاستعمار الروسى القيصرى فى دورين خطيرين حتى فترة الاستقلال سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) ويمتد الدور الأول من سنة ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) حتى أواخر سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م)

ويبدأ باتحاد شعوب شمال القوقاز بزعامة الإمام الشيخ منصور الذى أعلن الجهاد الإسلامى على روسيا القيصرية، وانتصر فى بعض المواقع الحربية، واستولى على قلعة (أنابه) وحارب الروس نحو عشر سنوات حتى وقع أسيرا سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) ثم توفى فى المنفى [1].

ثم ظهر الإمام الثانى محمد غازى وحارب الروس نحو ثلاث سنوات ثم استشهد فى ميدان

(١) المجلة — فى هذه السنة ١٢٠٦ هـ عقدت معاهدة صلح ياسى بين كترينة الثانية والسلطان سليم وتحصلت روسيا بها على القرم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ألا وإن من أحكم الحكمة، وأرحم الرحمة، ما ختم به الحديث الأول من أن العبد بالغاً ما بلغ سعيه لن يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له، ولم يبق بعد ذلك من فرق بين طلاب الدنيا وطلاب الآخرة إلا أن طالب الآخرة يأتيه رزقه بلا تعب مع الرضا والقناعة، وطالب الدنيا يأتيه بتعب وشدة مع الفقر والضراعة. وفى هذا يقول بعض السلف: فطالب الآخرة قد جمع بين الدنيا والآخرة، وطالب الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة. وما أبدع قول الخليل بن أحمد:

والرزق عن قدر لا الضعف ينقصه [1] ولا يزيدك فيه حول محتال

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

(١) حيلة.

قضية شمال القوقاز

والمؤتمر الاسلامى

ينتظم كفاح شمال القوقاز ضد الاستعمار الروسى القيصرى فى دورين خطيرين حتى فترة الاستقلال سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) ويمتد الدور الأول من سنة ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) حتى أواخر سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م)

ويبدأ باتحاد شعوب شمال القوقاز بزعامة الإمام الشيخ منصور الذى أعلن الجهاد الإسلامى على روسيا القيصرية، وانتصر فى بعض المواقع الحربية، واستولى على قلعة (أنابه) وحارب الروس نحو عشر سنوات حتى وقع أسيرا سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) ثم توفى فى المنفى [1].

ثم ظهر الإمام الثانى محمد غازى وحارب الروس نحو ثلاث سنوات ثم استشهد فى ميدان

(١) المجلة — فى هذه السنة ١٢٠٦ هـ عقدت معاهدة صلح ياسى بين كترينة الثانية والسلطان سليم وتحصلت روسيا بها على القرم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ألا وإن من أحكم الحكمة، وأرحم الرحمة، ما ختم به الحديث الأول من أن العبد بالغاً ما بلغ سعيه لن يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له، ولم يبق بعد ذلك من فرق بين طلاب الدنيا وطلاب الآخرة إلا أن طالب الآخرة يأتيه رزقه بلا تعب مع الرضا والقناعة، وطالب الدنيا يأتيه بتعب وشدة مع الفقر والضراعة. وفى هذا يقول بعض السلف: فطالب الآخرة قد جمع بين الدنيا والآخرة، وطالب الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة. وما أبدع قول الخليل بن أحمد:

والرزق عن قدر لا الضعف ينقصه [1] ولا يزيدك فيه حول محتال

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

(١) حيلة.

مكتبتنا العربية

الحرب وخلفه الإمام حمزة بك ولم يستطع محاربة الروس أكثر من سنة واحدة حتى وقع شهيدا فى ميدان القتال .

ومن بعده ظهر الامام الشيخ شامل الذى حارب الروس أكثر من ٢٥ سنة وكبدهم خسائر فادحة حتى انتصر سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ، وهناك رواية مشهورة هى أنه قال - معتزا بالنصر - لوفد روسيا الذى جاء طلبا للهدنة : إنه سوف لا يلقى السلاح حتى يفتح موسكو وينشر فيها دعوة الإسلام .

* * *

ومن أشهر الزعماء الذين قادوا الحروب فى عهده الشيخ شعيب والحاج كراندوق بك ومحمد أمين والحاج مراد ، وأخيرا حشدت روسيا قوات كبيرة تعدادها (٣٠٠ و ٠٠٠) جندى لاحتلال القوقاز نهائيا فوقع الإمام الشيخ شامل أسيرا سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) ، واستمرت الحروب من بعده حتى أواخر سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) .

ولقد وقف المسلمون المجاهدون فى هذا الدور الحربى بشجاعة فائقة حصنا منيعا ضد خطر الاستعمار من الشمال على العالم الإسلامى ، كما سجلوا أعظم صفحات البطولة والجهاد فى المعارك الطاحنة بين الطرفين ، والتى سجلت تفصيلاتها فى كثير من الكتب بمختلف اللغات الاوربيـــة .

ومن أشهر تلك المعارك معركة (رادى يورت) سنة ١٢٣٤ هـ (سنة ١٨١٩ م) فقد أرسل الجنرال يرملوف قائد الحملة الروسية إنذاره بإخلاء البلد المذكور فرفض المواطنون الانذار واستعدوا للدفاع ، فتقدمت القوات الروسية لمحاصرة البلد بمدفعيتها الثقيلة والاسلحة الخفيفة ، وفى بداية المعركة كانت خسائر الروس فادحة ولكن بعد ما فتحت المدفعية عدة ثغرات حول أسوار البلد بدأت الوحدات العسكرية تشتبك مع المجاهدين الوطنيين بالسلاح الابيض ، فوقعت الملحمة بالخناجر الطويلة وحراب البنادق ، وقتل معظم أهل البلد ، واشتعلت النيران ، وعندما رأى بقية المجاهدين سقوط البلد أخذوا يقتلون أولادهم ونساءهم ببقية ذخيرتهم حتى لا يقعوا فى يد العدو كما أن السيدات صرن يلقين بأنفسهن فى النيران دفاعا عن الوطن والشرف .

هذا ملخص ما جاء فى التقرير الحربى الذى أرسله الجنرال يرملوف إلى الجهات الرسمية فى موسكو .

ثم يبدأ دور الثورات الوطنية ضد الاحتلال الروسى من سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) الى آخر الحكم القيصرى الروسى سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧) .

وبعد انتهاء الحروب النظامية فى الدفاع عن البلاد بدأت الثورات فى معظم المقاطعات ، ولذلك لم يستقر الحكم الروسى فى البلاد ، ولكن هاجر كثير من قبائل شمال القوقاز الى تركيا وبعض البلاد العربية حرصا على حرية عقيدتهم وللمحافظة على التعليم الدينى للجيل الجديد ولإنقاذه من الاستعمار الثقافى على أمل أن يكون فى المستقبل نواة التحرير . . ومن أشهر الثورات فى هذا الدور ثورة سنة ١٢٩٤ هـ [١٨٧٧] م التى قامت بقيادة محمد غازى وانتهت بخسارة فادحة من الطرفين وكان ذلك إبان الحرب الروسية التركية .

وبعد ذلك انتهزت البلاد فرصة الحرب الروسية اليابانية سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وأعلنت الثورة بزعامة الثائر الحربى المشهور (زليمخان) الذى قاد حرب العصابات ضد الاحتلال نحو عشر سنوات ، ولم تهدأ الحالة فى البلاد حتى فترة الاستقلال (١٣٣٦ هـ ١٩١٨) (١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م)

* * *

وبعد جهاد مسلح نحو قرن ونصف بملايين الشهداء انعقد المؤتمر الوطنى لشمال القوقاز فى آخر رجب سنة ١٣٣٦ (١١ مايو سنة ١٩١٨) وأعلن الاستقلال . وهو يوم خالد فى تاريخ القوقاز جدير بالاحتفال . وارتفع فيه العلم الوطنى فى سماء الحرية .

وقامت برئاسة الزعيم عبد المجيد جيرموى (جمهورية شمال القوقاز) وهى تتألف من شعوب الداغستان شرقا والشيشان والاستين بالوسط والشركس غربا ، وعدد سكانها نحو خمسة ملايين نسمة ومساحتها نحو ١٧٦ ألف كيلو متر مربع . وهذه البلاد من أجمل وأغنى بلاد العالم .

واتخذت العاصمة (فيلادى ففقاس) وبدأت الحكومة الوطنية بمشروعات هامة

وبتكوين الجيش باسم الجيش الاسلامى القوقازى. واعترفت معظم الدول الكبرى باستقلال جمهورية شمال القوقاز وتبادلت معها انجلترا وفرنسا التمثيل السياسى، كما اعترفت باستقلالها روسيا السوفيتية التى قامت عقب الثورة الشيوعية سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧) بسقوط النظام القيصرى فى روسيا.

ثم اختير عبد المجيد جيرموى رئيسا لوفد شمال القوقاز إلى مؤتمر الصلح فى باريس. وتألفت الحكومة الوطنية برئاسة الزعيم (بشماخوكوسرك) وبدأت بتنظيم أمور الدولة. وبعد ذلك وقعت البلاد مسرحا للمعارك الحربية بين الجيش الاحمر والقوات القيصرية وتعرضت بسبب ذلك لخسائر فادحة.

وآخر حكومة وطنية لفترة الاستقلال تألفت برئاسة الجنرال ميكائيل خايل ولكن بعد انكسار القوات القيصرية نهائيا بدأ تدخل الجيش الاحمر من جديد. ثم قامت حركة الدفاع الوطنى برئاسة سعيد شامل ولكنها لم تستطع مقاومة الجيش الاحمر وانتهت بإعدام الزعماء الوطنيين وفى مقدمتهم الإمام نجم الدين. ثم التجأ رجال الحكومة إلى تركيا وبعض دول أوربا.

وأخيرا — فترت المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الشيوعى ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢) الى الآن

* * *

بالرغم من اعتراف روسيا السوفيتية باستقلال شمال القوقاز وإذاعته تكراراً من موسكو أرسلت الجيش الاحمر لاحتلال القوقاز ثم قسمت شمال القوقاز إلى سبع جمهوريات صغيرة من الحكم الذاتى وألحقت بموسكو.

ثم ضربت الستار الحديدى ونظمت حركة الاستعمار الثقافى ضد الدين والوطنية، وصبغت التعليم المدنى بالنظام الجديد، وألغت التعليم الدينى، وحولت مئات المساجد إلى مرافق أخرى، واستولت على أهم موارد البلاد.

ولكن لم تنجح الوسائل الجديدة فى القضاء على المقاومة الوطنية.

* * *

ومن أهم حركات المقاومة فى هذه الفترة الأخيرة ثورة سنة ١٣٥١ (١٩٣٢) التى استمرت نحو سنتين بقيادة جمعية شمال القوقاز المستقلة التى أصدرت بيانا تشرح فيه مظالم الاحتلال الشيوعى وتناشد دول أوربا والعالم أجمع بالعطف على قضية بلادهم حتى تستطيع التخلص من العدوان الشيوعى بعد اعترافهم باستقلال البلاد رسميا ، ونشر ذلك البيان فى صحف بولونيا وفرنسا وبعض بلاد أخرى . وفى سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢) ، قامت ثورة شعبية ضد قوات الاحتلال الشيوعى أثناء الحرب الروسية الألمانية الأخيرة واستمرت الثورة نحو سنتين ولكن بعد انسحاب المانيا إلى أوربا وقعت البلاد مرة أخرى تحت الحديد والنار ، وأذيع على العالم فى ٢٥ رجب ١٣٦٥ (٢٥ يونيه ١٩٤٦) كما نشرت الصحف قرارات الكرملين بالغاء جمهوريات شمال القوقاز ومنها : جمهورية شيشان ـ أنجوش والقرجاى ـ البلقار والقرموق فضلا عن القرم المجاورة ، وبلغ عدد المنفيين إلى سيبريا نحو مليونين من المسلمين المشردين . وتدل هذه القرارات على أن الثورة كانت شعبية عامة ، وإلا لحوكم بعض الثوار وبقيت الجمهوريات كما هى . وهذه الثورة فى نظر الشيوعيين خروج على الاتحاد بالتعاون مع العدو ، ولكنها فى نظر الأحرار الوطنيين دفاع عن حق تقرير المصير على أساس الاستقلال المعترف به سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ ضد العدوان الشيوعى القائم .

وبعد هـــذا البيان العام فى الوقت الذى تقف فيه مصر الثائرة لصالح الشعوب ضد الاستعمار بجميع مظاهره ، كما أعلن فى مؤتمر باندونج الأخير ، تتمثل المطالب القومية لشمال القوقاز بواسطة المؤتمر الإسلامى فيما يأتى :

أولا : مطالبة الدول الإسلامية والعالم أجمع بالاهتمام بقضية شمال القوقاز فى هيئة الأمم المتحـــدة .

ثانيا : تأليف هيئة تحرير شمال القوقاز للقيام بالدعاية بإصدار مجلة صوت القوقاز الشمالية .

ثالثا : إعادة المنفيين إلى وطنهم وإبعاد الروس الذين أسكنوا محلهم إلى بلادهم الأصلية

رابعاً : إعادة جمهورية شمال القوقاز المستقلة سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٨)

ضير أرسلان

ممثل الدفاع الوطنى لتحرير شمال القوقاز

تعليقات

— ١ —

رسالة الأزهر

خطب حاكم الباكستان فى استقباله لوفد مصر ، فكان من أبرز كلماته إشادته بالأزهر ، وامتداحه لمصر لأنها بلد الأزهر .

ثم خطب وزير مصر وبطلها — جمال — فكان من كلامه أن مصر تفخر بالأزهر وتقدر له فضله ، وأن من أمارات اعتزازها به أن مع الوفد وزير الأزهر — الباقورى — هذا — ولم يكن حاكم الباكستان مجازفاً فيما أثنى ... ولم يكن زعيم مصر مسرفا فيما قال ، فللأزهر من الشأن ، ولمصر من المجد به ما يجرى صدقا على كل لسان .

ويا ترى !! لو لم تكن مصر بلد الأزهر ، فماذا كان حظها من الثقافة يوم كانت منابع العلم جافة فى بقاع الشرق — عدا مكة والمدينة — وماذا كان نصيبها من المجد الأدبى ، والزعامة الإسلامية ، يوم كان المجد الأدبى نازحا من الآفاق ؟؟ أحسب أنها لم تكن تزيد فى مجدها على أية دولة من الدول التى تغبطها على أزهرها ، ولا تطاولها فى الفخر بشىء مثله اليوم .

ولا أستثنى من ذلك بلداً غربيا من عواصم الثقافات الحديثة — فكلها مسبوقة بمصر والحمد لله ... ورسالة الأزهر فى حياته الطولى هى رسالة السماء : رسالة الإسلام ولغته ، يبثها الأزهر بجهوده الموصولة ، ويرعاها بحراسته اليقظة ، ويصبر على ما يصيبه فيها من عنت أو شظف .

وإذا كان فى مصر — بالذات — وفى الشرق العربى كله من يعرف حلالا وحراما ، ومن يعرف قراءة وكتابة ، ومن هم فوق ذلك حظا من العلم ، فإن هذا فى أكثره من فيض الأزهر ، أو هو رشح من معينه ، أو هو قبس امتد من برج الأزهر ، وسار فى اتجاهات مختلفة حتى

أضاء الأصقاع البعيدة ، وبصر الناس فى ضوئه أن هذه إشراقة من الأزهر ، فليس كثيراً على مصر أن يشيد بأزهرها من يشيد فى الباكستان أو سواها .

وستظل ألسنة الخطباء ، وأقلام الكتاب ، وقصائد الشعراء ، تتغنى كلها بمجد مصر وبفضل الأزهر ، وسيظل صوت الأزهر نديا فى دور القضاء الشرعى ، وفى غرفات التدريس ، وحلقات العلم ومجالس الوعظ ، ومكاتب التحرير فى الصحافة ، وسيظل صدى تعاليمه على كل لسان من ألسنة المسلمين ، وغصة فى حلوق من شانئيه .

ولكن الأزهر - مع هذا ، وعلى بعد صيته ، وأصالة مجده - لا يعدم فى مصر من يخاصمه لغير سبب مفهوم فبينما نجد الأزهر كالرائد الأمين الذى لا يكذب أهله فيما يحمل إليهم من نبأ ، أو يوافيهم به من علم ، نجد أفرادا من الكتاب يزعمون الغض من شأنه ، ويحاولون تزهيد الناس فيه ، والمساس بسمعته . فما هى جناية الأزهر عند كتابنا هؤلاء ؟؟

الأزهر ينقل إلى الناس من كتاب الله وسنة رسوله ما يهذب طباعهم ، ويؤدب نفوسهم ، ويصلح أخلاقهم ، وهو يغار على رجولتهم من التخنث ، وعلى أنوثتهم من التبذل .

فيوقظ فى الرجولة نخوة الغيرة ، ويبعث فى الأنوثة كبرياء الترفع ، ويحوط الأعراض بسياج من تعاليم الله ، حتى لا تنهار الكرامات ، ويضطرب الأمن فى المحارم والبيوت ، ويكون المسلمون بعد اجتيازهم تلك المراحل فى حياتهم العلمية والدينية أسوأ حالا من عصور الجاهلية الأولى .

الأزهر يبلغ الناس عن ربهم وعن رسوله كل ما يرفع مستواهم ، ويشد الروابط بينهم . ثم هو يربطهم بربهم ، فيدعوهم إلى عبادات صحيحة ، ويربطهم بأنفسهم فى معاملات مشروعة ، ويركز فيهم الآداب ، ويرجع بهم إلى الحياء ، ويقاوم فيهم الأنانية والطغيان والإباحية . ورسالة الأزهر فى جملتها وتفصيلها رسالة دين ودنيا : غير أنه الدين الحق والدنيا الكريمة ، الدين الذى لا تنال منه شبه المفسدين ، والدنيا التى لا تخالطها المآثم ، ولا تنال منها همزات الشياطين .

هذه رسالة الأزهر فى إجمال ، فما بالنا نجد لهذه الرسالة خصوما يتحاملون على الأزهر ولا يترفقون به فى مطاعنهم ، وكلما وجدوا متسعا فى صحيفة ، أو مناسبة فى ندوة ، أو نزعة

مكتبتنا العربية

طائشة ممن لا يرجعون إلى ضمير أذكوا نار الخصومة ، ووسعوا منافذها ، وباعدوا وأسرفوا ، على حين أنهم يرون بأعينهم ، ويسمعون ويقرأون ما هنا وهناك من مخزيات . فلا نرى لهم نكيرا ، ولا نسمع لهم تأففا .

يود الأزهر أن يجد من تلك الأقلام عونا له فى رسالته ، ليظفروا بنصيب من الفضل فى البناء ، أضعاف ما يصيبهم من الأجر على الهدم ، إن كانوا حقا يسهمون فى الإصلاح ، ويخلصون فى التوجيه ، ويود الأزهر أن نكون عند كلمة سواء ، فلا إسفاف بتعيير الأزهر أنه جامد أو أنه رجعى ، أو أن أهله كانوا يأكلون الفول والطرشى ! ! كما أذاع بعضهم هذا فى أول رمضان وما إلى ذلك من الأساليب الهزيلة التى لا تروق عند القراء والسامعين .

يحاول الأزهر أن يتصون ويتغاضى عن منازلة هذه الأساليب ، ولكن غواتها يدأبون عليها ، ويحاول الأزهر أن يدفع كل كلمة شائنة فى وجه صاحبها وفى حينها ، ولكنه لا يجد متسعا لما يكتبه ، ثم هو لا يجد معذرة عند من يطلبون إليه أن ينشر ما يدفع به إفك الأفاكين .

* * *

وشر من هذا كله : أن أفرادا من أبناء الأزهر يطاوعون هذه الفتنة ، ويتقربون إلى دعاة التجديد ، وأنصار التحلل ، ليقال عنهم : سبقوا غيرهم . وبذوا سواهم ، وطلعوا علينا بالجديد من بين الأزهريين .

يكتب هؤلاء - من أبناء الأزهر - غمزا فى الأزهر بأنه جامد ، وأنه أغلق باب الاجتهاد ، وأنه متريث فى رسالته ، وأنه كذا وكذا مما لا يصدق ولا يليق ، فمن أين لهؤلاء نبوغهم وهم صنيعة الأزهر الجامد المتخلف ؟؟ خير لهم أن نسمع لهم صوتاً إيجابياً فيما ينفع ، وخير لنا ولهم أن نرى لهم اجتهادا فى الفقه إن كانوا أهلا ، ثم لننظر أيعترض عليهم الأزهر فيما ينتجون ؟؟ ولكن لا ضير على الأزهر من أولئك ، فقد غلبتهم طبائعهم على ثقافتهم ، فأحبوا الظهور ، ولاحت لهم آمال فهم يتصيدونها بحبال من أديم الأزهر غير مشفقين ولا أوفياء (ولكل امرىء ما نوى) . ؟

— ٢ —

مع الثورة

فى الصحراء الناضرة

كان من أعاجيب الثورة أن تكشف لنا عن وجه جديد من وجوه الإصلاح الذى لم يكن يتعلق به الأمل ، ولا يتجه نحوه الخاطر : فهناك فى مديرية التحرير ، وبعد أن تقطع السيارة أميالا طوالا فى طريق مصر الغربى ، ثم أميالا طوالا فى جوف الصحراء الليبية ، يقف المرء مشدوه الخاطر ، مسحور العين ، بين مروج خضراء ، وأشجار مصفوفة ، وطرق مصقولة . وهذا المنظر فى عرض الفلاة المبسوطة ينسيك أنها البياب القفر التى طويت فى رحلتك من جنباتها أشواطاً مترامية ، دون أن ترى فيها أثراً من آثار الحياة فى القرون الخوالى ، وينسيك أن هذه البلاقع الجرداء عارية حتى من مرابض الوحوش ساعة هجوعها ، ومن أوكار الطيور حين سكونها ، فكيف بالإنسان يعمرها ، وليست على مقربة من ماء ، ولا ذات صلة بالأحياء ؟! ولكن عين الثورة لم تتجاوز هذه الصحراء فى غير وعى ، وعزيمة الثورة لم تقف دونها فى تهيب ، فسرعان ما هيمنت أسود الثورة على تلك الرقعة التى تحاشتها أسود العرين والغاب ، وسرعان ما فتحت الثورة فيها السبيل ، وعبدت فيها الطريق إلى تلك البقعة التى سمتها « مديرية التحرير » .

* * *

وهناك ترى الهندسة البارعة خلقت فى جوف الفلاة حياة فتية جديدة ، ورسمت عليها دنيا خصيبة بهيجة ، وهيأت للعيون أن تتقلب فى مباهج الطبيعة ، وللنفوس أن تتروح

فى ظلال المنشآت ، وأفسحت لغيرنا من فصحاء البيان أن يقول ، وللشاعر الموهوب أن يحلق ويجول .

كم يبهرك ما ترى حين تتخطى الفلاة وما بها من وهج الشمس اللافحة إلى ترعة جارية تستقبلك خارج القرية - أم صابر - وعلى متن هذه الترعة طريق محفوفة بالأشجار الناشئة ، تصطف فى مطلع القرية كأنها الحسان فى موكب العروس .

تهز نفسك من روحة الماء ونضرة الشجر نشوة تبدد ما ألم بك من جفوة الصحراء ، وتنعش فيك الوعى واليقظة إلى ما أنت قادم عليه من ألوان الحياة الفتية ، فى بقعة كانت مواتا طوال أيام الحياة .

فإذا ترسلت فى خطاك ، ووقع نظرك على أم صابر ، فإنه واقع - أولا - على المراعى الخصبة ، وفيها الأبقار متحاذية فى موقفها ترتع فى بحبوحة ودعة ، وخيل إليك أنها تعيش هنا من سالف الزمن ، لا من أشهر معدودة ، وتمثل لك قول الله تعالى : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » .

ونظرك واقع - ثانيا - على حظائر الماشية التى أعدت لمبيتها خارج المساكن ، حتى لا يجتمع الفلاح ودابته فى حيز واحد ، كما كان بلاؤه فيما سلف ، وحتى يستطيع أن يتذوق متعة السكن الحديث الذى تهيأ له ، معزولا عن مرابض الأغنام وسواها ، مستوفيا أسباب الرفاهية .

فإذا تجاوزت ببصرك مصاف الأنعام فى مراعيها إلى مبانى القرية لفتتك بهجة المسجد الأنيق فى موقعه من جهة القرية ، واسترعتك مئذنته الشامخة ، والمآذن وحى يتغلغل فى القلوب ، ويثير فيها عظمة الإسلام ، ويرمز إلى أنه دين النهوض إلى الغايات السامية ، والتطلع إلى مراقى الحياة ، ودين المناجاة لبارىء السموات وجاعلها سقفا مرفوعاً لهذه الدنيا وما اشتملت عليه من عجائب الله .

يقع ذلك المسجد على رحبة تلتقى فيها شوارع ممدودة إلى داخل القرية ، وعلى جوانب

هاتيك الشوارع أقيمت المساكن المنسقة الحديثة التى أعدت لسكنى المواطنين ، وما أحب أن أستوعب المشاهد الرائعة التى احتوتها قرية أم صابر فإن ذلك سيطول .

وحسبك أنها قطعة من النظام استوفت مباهج الفن وشرائطه الكفيلة بالحياة الهنيئة ، وأن فلاحنا الذى سيختارونه للمقام بها وأجد فيها من الوسائل الحديثة والمرافق اللازمة ما ينسيه شقوة الارياف التى حجبت مواهب الكثير من القرويين ، وكبتتهم فى آفاق ضيقة ، وحالت بينهم وبين مظاهر الحضارة ، بل وبين ضرورات الحياة التى يكون بها الإنسان مدنياً بعض الشىء ، حتى صار يضرب المثل فى التأخر بالفلاح على لسان الذين لا يعرفون للفلاح فضله ، ولا يقدرون له شأنه فى الحياة المصرية من كل ناحية . حتى جاءت الثورة الرشيدة فكان تهافتها قبل كل شىء على الإشادة بالفلاح ، واجتذابه إلى الأمام ، وإحلاله محله اللائق فى مقدمة الصفوف .

* * *

وما أحب كذلك أن أستوعب المشاهد فى المصانع الجادة فى عملها هناك بالأدوات الحديثة فى الزراعة والصناعة بأيدى الفتيان المصريين ، مما يروع أولئك الذين يستكثرون على المصريين أن يسهموا فى الحضارة ، أو يرفلوا فى مناعمها ، وقد كانوا أسبق الناس إليها قديماً ، وما حجبهم عنها أخيراً إلا سحابات تراكمت فى سبيلهم ، ولكن المدنية ظلت كمينة فى مواهبهم وفى عزائمهم ، حتى جاءت الثورة فأيقظت المشعل أمام الشعب ومكنت له أن يسير .

فإذا روعى أن هذه الوثبة الفجائية من وثبات الثورة الموفقة دفعت بالأمة إلى حياة جديدة فى ذلك المكان القصى ، وأنها أنتجت فى أشهر قليلة ما لم يسبق مثله فى أمد طويل ، أمكن فى سهولة أن نؤمن إيماناً حقاً بأن هذا خير تحققت بواكيره ، وأن ما بعد ذلك من النجاح المأمول سيطرد حتى لا يقف عند تحديده بالوصف .

وإذا كانت مصر بين الشعوب أمة كرمها الله بتشريعه الدينى ، وجعلها من قديم وطن

دين وتدين ، لا وطناً بدائياً ، كما جعلها ذات تاريخ مجيد : فما كان يليق بها أن تتقاعد عن مواصلة جهادها حتى تجدد لنفسها تلك السيادة التى توفرت مبادئها فى دينها وتاريخها وجغرافيتها . . وهى بذلك تكون متمشية مع دينها فى دعوته إلى العمل وبناء المجد . (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ، (ان الأرض يرثها عبادى الصالحون) ، (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) فذلك توجيه إلى المجد ، والتحفظ من مطامع العدو ، وليس حضا على العدوان ، والمناوأة الباغية .

وإذا توفرت للأمة على يد الثورة شخصية مهيبة ، وعدالة سابغة ، وأمن لها وأمن من شرها ، فتلك هى الأمة الإسلامية التى لقنها رسولها مبدأ السيادة الكاملة فى أيسر تعبير : (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) .

* * *

ولعل ثورة مصر واصلة بالأمة عما قريب إلى تلك الغاية ، حتى نرى التعمير فى مديرية التحرير قد استوعب تلك المساحات التى تناولها التخطيط الجغرافى لمشروع الثورة هناك ، ونرى البلاد المزمع إنشاؤها فى مديرية التحرير قد اكتمل عدها فى ثمانية عشر مركزاً ، وفى كل مركز ثمان عشرة بلدة ، ورقعة كل بلدة ألف فدان ، ثم ينتقل التعمير إلى مثل هذا حتى يتمثل المشروع المأخوذ فيه فى مليون ومائة ألف فدان .

وإن العزائم التى خلقت بمعونة الله فى جوف الصحراء الغربية هذه الدوحة الجديدة لخليقة أن تدرك أملها (وأول الغيث قطر ثم ينهمر) .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الكتب

المنتقى من منهاج الاعتدال

وهو مختصر الحافظ الذهبي لكتاب (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ابن تيمية
بتحقيق وتعليق محب الدين الخطيب - ٩٥٢ صفحة - المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

* * *

فى سنة ١٣٢١ — ١٣٢٢ هـ صدر عن المطبعة الأميرية ببولاق كتاب جليل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨) فى أربعة أجزاء عنوانه (منهاج السنة) فتداولته أيدى العلماء ، وأقبلت على اقتنائه دور الكتب ومعاهد العلم فى الشرق والغرب مدة نصف قرن حتى صارت نسخه أندر من الكتب المخطوطة . وكان معلوماً أن الحافظ أبا عبد الله محمد ابن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨) وهو أحد كبار تلاميذ شيخ الإسلام قام باختصار هذا الكتاب فى حياة مؤلفه ، وكان المظنون أن هذا المختصر من تراث الإسلام المفقود ، لأننا لانجد له ذكراً فى فهارس دور الكتب الكبرى فى العالم الإسلامى وعواصم الغرب .

ولما زار عين أعيان الحجاز العلامة الجليل الشيخ محمد نصيف الديار الشامية فى العام الماضى متردداً على خزائن كتبها ، اكتشف نسخة مختصر الذهبي لهذا الكتاب مكتوبة سنة ٨٢٤ أى بعد وفاة الذهبي بست وسبعين سنة ، وهى من بقايا مكتبة عثمان باشا الدوركى الأصلى الحلبي المولد المتوفى بمكة المشرفة سنة ١١٦٠ ، وهذه المكتبة قد ضمت أخيراً إلى (دار مكتبات الأوقاف الإسلامية) فى حلب ، وعنوان مختصر الذهبي (المنتقى من منهاج الاعتدال) ، وهو فى مكتبة حلب برقم ٥٧٩ ، فبادر الشيخ محمد نصيف إلى استنساخه بالتصوير الشمسى ، وأرسل صورته الشمسية إلى رئيس تحرير هذه المجلة ، فقام بتحقيق الكتاب ومعارضته بأصله المطبوع فى بولاق والتعليق عليه بما يزيد تحقيقاته إيضاحاً وتبيينا.

إن هذا الكتاب خزانة حافلة بتحقيق مذاهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فى أهم مسائل أصول الدين، ثم هو تاريخ علمى للحركة الفكرية والعقدية من صدر الإسلام إلى أن تشعبت المذاهب والطوائف والنحل . وفيه مقارنات دقيقة بين هذه المذاهب المتشعبة وتحقيقها ووزنها بموازين الكتاب والسنة المحمدية فى الصحيح من دواوينها ومراجعها ، مع بيان مواقف الصحابة وأهل القرون الثلاثة الأولى فى الإسلام . وسائر ما تعرض له ابن مطهر الحلى (٦٤٨ — ٧٢٦) من بحوث ومسائل فى كتابه (منهاج الكرامة) ، فأبان شيخ الإسلام ابن تيمية وجهة النظر الإسلامية فى كل بحث من تلك البحوث ، وكل مسألة من تلك المسائل .

وكان أصل المختصر فى مخطوطة حلب فى ٣١٠ صفحات ، فجاء مع التعليقات ومقدمة رئيس تحرير هذه المجلة والفصل الختامى فى نحو ضعف الأصل . وقد زين بصورة شمسية للورقة الأولى من الأصل المخطوط ، ثم بصورة أخرى للورقة الأخيرة منه ، وألحق به فهرس لموضوعات الكتاب تناولت كل ما انطوت عليه صفحاته واحدة فواحدة .

ومما لا ريب فيه أن هذا المختصر سيستغنى به عن أصله كل من لم تتح له فرصة اقتناء الأصل . بل إن فى تعليقاته من الزيادات والفوائد ما لا يوجد فى الأصل ، لأنها مستقاة من مراجع كان بعضها غير معروف فى عصر تأليف الكتاب واختصاره . فنلفت إليه أنظار جميع المشتغلين بتاريخ الإسلام ، ودراسة مقالات الإسلاميين ، والمقارنة بين المذاهب فى أصول الدين ، فإنه مرجع عظيم فى ذلك كله . والله الموفق .

التفكير الفلسفى فى الاسلام

للدكتور عبد الحليم محمود - الجزء الأول - ٢١٥ ص
من سلسلة الدراسات الفلسفية والأخلاقية

الدكتور عبد الحليم محمود - أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين - من المفكرين الممتازين فى البحوث العقلية والنفسية فى الإسلام . وقد صدر له قبل الآن تحقيق كتاب المنقذ من الضلال لأبى حامد الغزالى ، وفلسفة ابن الطفيل ورسالته « حى بن يقظان » ، ورسالة التصوف عند ابن سينا . وكتابه الجديد « التفكير الفلسفى فى الإسلام » يقع فى سبعة

فصول أولها عن الجو الذى نشأ فيه الإسلام . فتكلم عن الحنفاء والحكماء من العرب فى الحقبة الأخيرة من عصر الجاهلية كزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبى الصلت ، وورقة ابن نوفل ، وعبيد الله بن جحش بن رئاب ، وعامر بن الظرب ، وقس بن ساعدة ، والحمس من قريش ، وحلف الفضول . ونبه المؤلف إلى أخطاء شائعة عن العرب قبل الإسلام ومنها نبزهم بالوثنية وعبادة الأصنام . والحق أن أقطار الأرض قبل الإسلام كانت أعرق فى الوثنية من جزيرة العرب التى طرأت عليها الوثنية من عهد عمرو بن لحى الخزاعى ، وكانت قبله على ميراث من دين إبراهيم وإسماعيل . ثم أجمل المؤلف القول على الأديان فى جزيرة العرب ، وأورد بعض آراء العلماء عن العرب كالذى ذكره الجاحظ فى صدر كتابه البيان والتبيين

وفى الفصل الثانى تحدث المؤلف عن القرآن ، ومهمة الرسول ﷺ ، والقيمة الذاتية للدعوة الإسلامية . . الخ ، وفى الفصل الثالث تكلم على الفرق والأحزاب الدينية فى الإسلام وان الفرقة الناجية هى التى التزمت ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

أما ما ذكره المؤلف من التفصيل فى أمر بعض الفرق وهل هى حزب أم فرقة ، فإن كثيراً من الفرق تطور مدلول عنوانها مع الزمن ، فاختلف الحكم عليها بحسب ما صارت إليه وقتاً بعد وقت ، فإن لها فى كل وقت حكما تبعاً لتطورها ، فى قربها لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه أو بعدها عن ذلك .

وفى الفصل الرابع تكلم المؤلف على مذهب السلف ، وإن ما ظنه المؤلف اختلافا بين مدرسة الأشعرى ومدرسة ابن تيمية سينجلى له متى توسع فى دراسة الموضوع فى مراجعها فيتبين له أن الإمام أبا الحسن الأشعرى — كما اعترف فى كتابه مقالات الإسلاميين — لا يختلف فى شىء عما كان عليه الإمام أحمد وتلاميذه وابن تيمية ومدرسته فكلهم تقيدوا بالنصوص الإسلامية والتزموا ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه .

وفى الفصل الخامس تكلم المؤلف على التفكير فى عهد الصحابة ، وفى الفصل السادس على الاختلاف فى الإمامة ، وختم الجزء الأول بالفصل السابع منه عن بدء الاختلاف فى الأصول . وقد حاول المؤلف أن يكون منصفا فى أحكامه ، غير أن هذا البحث يحتاج إلى مراجع أوسع من التى كانت بين يديه ، ونعتقد أنه بروحه الطيبة وبحثه العلمى وتوسعه فى المراجع سيكون الجزء الثانى من كتابه أدسم وأغزر فائدة وأصح أحكاماً . والله الموفق .

نظام المواريث — فى الشريعة الاسلامية

للأستاذ عبد العظيم جوده فياض - الطبعة الثانية ٣٢٠ ص - دار الكتاب العربى

أصدر فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العظيم جوده فياض الصوفى المدرس فى كلية الشريعة الطبعة الثانية من كتابه (نظام المواريث فى الشريعة الإسلامية - على المذاهب الاربعة) .

وهو من أوفى الكتب وأجودها ترتيبا وتنظيما لأحكام المواريث فى المذاهب الإسلامية المنتشرة ، وقد امتازت هذه الطبعة بزيادة التنقيح ، وبالعناية بقانون الوصية الواجبة وشرحه ، وبقانون المواريث الجديد ومذكرته التفسيرية .

وقد التزم المؤلف ذكر الحكم مقرونا بدليله ، باسطا بعض ما اختلف فيه الفقهاء ووجهة نظرهم فيما اختلفوا فيه ، لتربى فى الطالب ملكة البحث والنقد . وشرح أحكام المواريث وفق ما كان العمل جارياً عليه قبل تعديل القانون - وهو المنهاج المقرر على الطلبة فى كلية الشريعة - وبيان ما طرأ من التعديل على تلك الأحكام فى القانون الجديد ، ليلم القارىء بما كان عليه أولا فيسهل الرجوع إليه عند الحاجة . كما عنى بمعرفة المذاهب والأصول التى أخذ بها القانون ، والغاية التى دعت إلى التغيير والتعديل ليكون بمثابة ضوء يلقى على ما قرر من أحكام وشرح الناحية العملية شرحاً منظما ينير للقارىء طريق تطبيق العلم على العمل .

والكتاب مقسم إلى تسعة أبواب ، تنتهى بخاتمة انطوت على فوائد : احداها بجمل القواعد لقسم التركات ، والثانية حل مسائل الميراث والمناسخات بطريق الشباك ، والثالثة أسئلة وأمثلة وتمرينات ، والدلالة على مواضع الجواب عليها فى متن الكتاب .

تقويم جامعة القاهرة

أصدرت جامعة القاهرة تقويمها لسنة ١٩٥٤ - ١٩٥٥ مطبوعا بمطبعتها فى ٢٤٠ صفحة وفيه كل مايهم الجمهور معرفته عنها منذ نشأتها الى أن انتهى بها التطور لما هى عليه الآن فى كلياتها ومبانيها وادارتها ومجالسها ونظامها الدراسى والتأديبى . وبعد التفاصيل الكافية عن كل كلية تحدث التقويم عن مكتبات الجامعة ومطبعتها وحفائرها ومتاحفها وسائر مرافقها وأورد احصاءات للطلبة ودرجاتهم وجنسياتهم ودياناتهم ، فكان بذلك مرجعا وافيا للحاضر والمستقبل .

الأدب والعلوم

مدارس تحفيظ القرآن

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً بتأليف لجنة برياسة فضيلة وكيل الجامع الأزهر لوضع النظم الدراسية التي تتبع في الجمعيات والمدارس والمكاتب الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم ابتداء من السنة الدراسية المقبلة .

ميزانية الأزهر

أقر مجلس الأزهر الأعلى مشروع الميزانية الجديدة للأزهر، وهي تقدر بمبلغ ١٩٤٩٩٤٠ جنيهاً بزيادة قدرها ٢٠٧١٤٠ جنيهاً عن العام الماضي . وقد تضمن مشروع هذه الميزانية تنفيذ كادر هيئة التدريس الذي اعتمد له في الميزانية ١٢٥٧٠ جنيها ، ويقضي هذا الكادر بمنح أعضاء هيئة التدريس بالكليات المرتبات الجامعية التي يستحقونها عن ألقابهم العلمية التي منحوها في مارس سنة ١٩٥١ .

وتضمن المشروع إنشاء معهدين جديدين أحدهما في فاقوس والآخر في أبو كبير ، وضم معهدي ملوى وبني عدى الأهليين إلى الأزهر ، واعتمد لهذه المعاهد ثلاثون ألف جنيه .

وتضمن المشروع ثلاثة آلاف جنيه لتأثيث قاعة المحاضرات الأزهرية وشراء مكبرات الصوت وللأجهزة ، وستة آلاف جنيه لسبعة مدرجات ، وسبعة معامل بالمعاهد الثانوية .

وتضمنت الميزانية إنشاء معهد جديد في الواحات تحقيقا لرغبة أهاليها ، واعتمد لتأسيسه ثلاثة آلاف جنيه . كما اعتمد مبلغ ٧٧٠٠ جنيه لتعزيز معهد غزة .

وتضمن المشروع ٣٧ ألف جنيه لنشر الثقافة الإسلامية و٢٠٠٠ جنيه لبعثة الحج والزيارة والبعثات الأخرى .

معهد للآداب الإسلامية

في بكين

أذاع راديو بكين أنه سيقام معهد لدراسة الآداب الإسلامية في بكين خلال العام الدراسي القادم .

وستتولى الإشراف على المعهد (الرابطة الإسلامية) في الصين ، وسيعين السيد مايووى

من كبار المسلمين فى الصين ووكيل الرابطة مستشاراً للمعهد .

وقال الراديو : إن اللغة العربية والقرآن سيكونان أهم المواد التى ستدرس فى المعهد .

الامتحان فى مادة الدين

بالمدارس السورية

صدر فى القطر الشقيق سوريا مرسوم رقم ٩٣٧ بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٥٥ وهو يقضى بإضافة مادة الدين إلى الامتحانات المحددة فى المراسيم التى تضمنت أنظمة الامتحانات العامة للشهادات الرسمية ، وستعتبر مادة الدين كسائر مواد الدراسة الأخرى فى جميع أحكامها .

المصطلحات العلمية والمسميات الإدارية

فى الدول العربية

من التوصيات التى قررها مؤتمر العلوم الإدارية للدول العربية توحيد المصطلحات العلمية والمسميات الإدارية فى البلاد العربية عن طريق تبادل الأساتذة والمحاضرين والمؤلفات بين الدول العربية ، وعقد المؤتمرات الدورية لهذه الغاية .

ويرى المؤتمر أن التقارب فى المناهج والنظم الإدارية أمر ضرورى لكفالة التعاون الصحيح بين أجزاء الأمة العربية وتحقيق أمانيها ، فأوصى باتخاذ أكبر قدر مستطاع من هذا التقارب مع مقتضيات الظروف المحلية .

وأوصى المؤتمر الجامعة العربية بإصدار مجلة إدارية لنشر البحوث والوثائق الخاصة بالإدارة العامة فى البلدان العربية .

أسماء العلماء

على بعض شوارع شبرا

أطلق فى هذا الشهر على بعض الشوارع فى أرض شريف بشبرا أسماء بعض أعلام المسلمين ، ومما لفت الأنظار من هذه الأسماء اسم : شارع ابن تيمية . وشارع الشيخ طاهر الجزائرى ، والشيخ عبد القادر الرافعى ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والشيخ حسن السقا ، والشيخ الظواهرى ، والشيخ مأمون الشناوى ، والشيخ أحمد رافع . الخ .

كتبنا باللغات الأوربية

قامت اللجنة الدولية لترجمة الروائع الأدبية بترجمة رسالة (أيها الولد) للغزالى إلى اللغة الفرنسية وكانت قد ترجمت من قبل إلى الإنجليزية والاسبانية . كما ترجمت كتاب (البخلاء) للجاحظ ، وكتاب (الإشارات والتنبيهات) لابن سينا . وقررت أخيراً ترجمة كتاب (التاج فى أخلاق الملوك) للجاحظ .

أنباء العالم الإسلامي

مؤتمر باندونغ

وثيقة استنكار الاستعمار

اشتركت فى مؤتمر باندونغ فى أندونيسيا ٢٩ دولة من آسيا وأفريقيا يزيد عدد شعوبها على نصف شعوب العالم ، وقد استمرت جلسات المؤتمر الاسبوع الأخير من شعبان (١٨ - ٢٤ أبريل) وترأسه السيد على ساستروأميدجوجو رئيس وزراء أندونيسيا ، وأصدر فى اليوم الأخير بيانه الرسمى بالإجماع مقرراً فيه تحقيق التعاون السياسى والاقتصادى والثقافى فيما بين الحكومات المشتركة فى المؤتمر وبينها وبين سائر أمم العالم ، واستنكر المؤتمر فى بيانه (الاستعمار) و (سياسة القوة) ودعا شعوب الأرض إلى السلم والتعاون .

ويعد بيان مؤتمر باندونغ وثيقة تاريخية لم يسبق لها نظير فى تاريخ الإنسانية . وهو مؤلف من خمسة آلاف كلمة تدور حول التعاون الاقتصادى والثقافى وحقوق الإنسان وتقرير المصير ومشاكل الشعوب المبغى عليها من الاستعمار كشعوب عرب شمال أفريقيا والشعب العربى الفلسطينى وموقف اليمن فى قضية عدن والمناطق الجنوبية من اليمن .

وبعد انتهاء رئيس وزراء أندونيسيا من تلاوة البيان والموافقة عليه بالإجماع بدأ رؤساء الوفود يلقون كلماتهم الختامية ، وكانت المدة المحددة لكل كلمة خمس دقائق ، والطابع العام لهذه الكلمات تأكيد التضامن الآسيوى الأفريقى ، والإعراب عن الأمل فى أن يحمل هذا التضامن فى المستقبل ثماراً أكثر فى حقول السلام والحرية والتعاون الدولى .

ومما قرره المؤتمر عقد مؤتمر اسيوى افريقى ثان سيعين موعد انعقاده ومكان اجتماعه فيما بعد .

خمسة شروط

للسلام العالمى

قدم الرئيس جمال عبد الناصر إلى مؤتمر باندونغ خمسة شروط قال إن توفرها ضرورى لصيانة وحماية السلام العالمى . وهى :

١ — نجاح الجهود التى تبذلها هيئة الأمم المتحدة ولا زالت تبذلها لتنظيم وتحديد وتخفيض القوات المسلحة والتسليح ، وكذا القضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل .

٢ — تمسك هيئة الأمم المتحدة بالميثاق ومبادئه ، واحترامها نصوص الميثاق فى كل ماتصدره من قرارات .

٣ — احترام الدول لالتزاماتها الدولية وحقوق الإنسان .

٤ — وقف ألاعيب الدول الكبيرة للضغط السياسى على الدول الصغيرة فوراً .

٥ — تصفية الاستعمار ، وهو سبب الاحتكاك بين الدول والقلق فى العالم .

ونوه فى خطابه بالتعاون الاسيوى الافريقى ، وأن تعاون الدول الاسيوية والافريقية من أقوى العوامل التى تؤدى إلى تقدم الشعوب وحماية حقوقها . وندد بالخطر الجسيم الذى يتعرض له العالم اليوم ، وهو خطر الحرب وما يمكن أن تكلفه الحرب للإنسانية من أرواح البشر .

الثورة فى الجزائر

بعد مكابرة طال أمدها أخذت سلطات الاستعمار الفرنسى فى الجزائر تعترف بتفاقم خطر الثورة الجزائرية على الاستعمار ، وأشد ما يقع الآن من نشاط هذه الثورة فى شمال مقاطعة قسنطينة حيث يضايق الثوار القوات الفرنسية والقرى بهجماتهم الجريئة ليل نهار .

وتعترف وزارة الداخلية الفرنسية بأن أربعين ألف جندى قد رصدوا لمقاومة ضغط الثورة فى حملات لا هوادة فيها على جيش الوطنيين المسلمين المدربين أحسن تدريب . وعلى رأس المجاهدين الجزائريين خبراء تمرسوا فى الخارج على أعمال التخريب والإرهاب ، ولم يذكر وزير الداخلية الفرنسية اسم أى بلد أجنبى ، ولكنه أعلن أن كل قرية ستكون لها حامية من رجال الجندرمة . وبالفعل نقلت وزارة الداخلية الفرنسية ألفين من رجال الجندرمة بالطائرات إلى الجزائر للاستعانة بهم فى مقاومة الثورة التى تفرغ لمقاومتها من قبل أكثر من أربعين ألف جندى . وفى المعارك الأخيرة التى وقعت بين قوات الاستعمار الفرنسى وتشكيلات الجهاد الوطنى فى جبال الأوريس كانت طائرات الهليكوبتر تنقل جرحى القوات الفرنسية من مناطق الثورة إلى مدينة بسكرة .

وقد زار الحاكم العام الفرنسى للجزائر منطقة الخطر وتباحث مع قائد القوات المحلية . وكانت غرفة قسنطينة التجارية قد دعت إلى اجتماع لها فى هذه الأيام ، فاضطرت إلى إعلان إرجاء اجتماعها إلى أجل غير مسمى « لأنها لا تستطيع عقد جلساتها فى الظروف الحاضرة » .

ثورة طهران على البهائية

قامت مظاهرات عدائية فى طهران على البهائية وكانت الجماهير تهتف مطالبة بتحويل هيكل البهائيين إلى مسجد . وقد فرقت قوات البوليس المتظاهرين ، غير أن هؤلاء تمكنوا من الاستيلاء على الهيكل . وكان الزعيم السيد فلسفى قد دأب على حث الشاه على مقاطعة البهائية ونصح بتحويل هيكل البهائيين إلى مسجد .

تمويل المشروعات الانتاجية

أعلنت الحكومة المصرية إلغاء النظام القائم لتغطية ما يصدر من البنكنوت ، لأنه نظام شاذ لا يوجد له مثيل الآن فى الدول الأخرى ، وإصدار أذون جديدة من نوع واحد تحل محل الأذون الحالية ويسمح باستخدام حصيلتها للتمويل قصير الأجل فى شتى النواحى الإنتاجية واتفقت الحكومة - فى الوقت ذاته - مع البنك الأهلى المصرى على أن تحصل عند الاقتضاء على ما لديه من أرصدة استرلينية حرة لتمويل مشروعاتها الإنتاجية مقابل سندات لمدة ١٥ سنة . وبذلك وفرت الحكومة نحو ٢٥٠ مليون جنيه لتمويل مشروعات السد العالى وإنتاج السماد والحديد والصلب والسكك الحديدية .

وصدر قانونان : أولهما بالإذن لوزير المالية فى إصدار سندات بمصر فى حدود مائة مليون جنيه ، والثانى بالإذن فى إصدار أذون على الخزانة بمصر بما لا يجاوز مائة وخمسين مليونا من الجنيهات .

واتفق مع البنك الأهلى كذلك على أن يخصم البنك أى أذون صادرة بغرض تمويل مشتريات الحكومة من القطن فى حدود ٤٠ مليون جنيه . وأعلن وزير المالية أننا فى مركز يسمح لنا بالاختيار الحر تجاه ما يعرض علينا من القروض من الهيئات الخارجية ، خاصة وان لدينا احتياطيا يبلغ نحو ٢٧٠ مليون جنيه من الذهب والعملات الأخرى .

وستعفى الأذون الصادرة طبقا للقانون الجديد ، وكذلك فوائدها ، من كل ضريبة مباشرة أو غير مباشرة حالية ومستقبلة .

الأموال الأمريكية لاسرائيل

فى شهر فبراير الماضى أعلن الدكتور لنكولن هيل مدير بعثة المساعدات الفنية الامريكية باسرائيل أن أمريكا قدمت إلى إسرائيل فى السنوات الثلاث الماضية ، من المساعدات الفنية الأمريكية ، نحو ٣٢٦ مليون دولار . وهى هبات لا ترد . إلى جانب ٢٥ اتفاقا رسميا آخر عقدتها أمريكا مع ربيبة نعمتها لمساعدتها على تنفيذ مجموعة ضخمة من مشروعات الإنشاء والتعمير : من نقل

وتدريب مهنى واستغلال المحاجر والبوتاس وغير ذلك .

وفى ٢١ مارس الماضى عرف من تقرير رسمى عن المعونة الأمريكية أن أمريكا قدمت ثلث حاجات اسرائيل من العملة الصعبة ، وكانت هذه المعونة هبة مجانية نقدية . أما الهبات غير النقدية فسدت ٤٠ ٪ من ميزانية اسرائيل للتنمية الاقتصادية . وهذه المعونة مستمرة من أمريكا لمدة سنتين .

وبلغ مجموع ما بيع فى أمريكا من سندات القروض الاسرائيلية حتى أول مارس الماضى ١٤٥ مليون دولار قررت الحكومة الأمريكية إعفاءها جميعا من الضرائب .

وقبل نحو شهرين تحدث سفير أمريكا الجديد باسرائيل - فى مأدبة صداقة أمريكية صهيونية أقيمت بتل أبيب - فقال : إننى أؤكد لكم - لا بالكلام ، بل بكل عمل ممكن - أن الولايات المتحدة ترغب رغبة مخلصة أن يستمر تقدم إسرائيل كشريكة للعالم الحر ، وأن ترى هذا التقدم يسير بسرعة .

يهود البلاد العربية وإسرائيل

انعقد فى بيروت مؤتمر المكاتب الاقليمية لمقاطعة إسرائيل ، ومن أهم المقترحات التى تقدم بها ممثلو المكتب الاقليمى المصرى اقتراح إقرار توصية بحظر دخول اليهودى العربى الجنسية أو الذى يتمتع بإقامة فى أى بلد عربى ، إذا ثبت نشاطه واتصاله بإسرائيل ، إلى أى بلد عربى ، وأن يحرم من جنسيته العربية ، ويسحب منه جواز الإقامة فى أى بلد من هذه البلدان . وسيعرض هذا الاقتراح - مع سائر توصيات المؤتمر - على مجلس الجامعة العربية فى اجتماعه القادم .

أكبر ناقلة للبترول

« الملك سعود الأول »

مرت بقناة السويس فى الايام الأخيرة ناقلة البترول السعودية « الملك سعود الأول » فى طريقها من هامبورغ حيث تم صنعها فى أحواض شركة « هوالدت » لبناء السفن ، قاصدة البحر الأحمر ، فالخليج العربى . لتساهم فى نقل البترول من الموانى السعودية إلى فيلادلفيا بالولايات المتحدة .

وهذه السفينة الجبارة تعد أكبر ناقلة بترول فى العالم ، ورابعة سفن العالم كله بعد السفائن الثلاث « كوين مارى » و « كوين أليزابث » و « تورماندى » .

ولما دخلت ميناء بورسعيد ترفرف عليها الراية السعودية استقبلتها جميع السفن الراسية فى الميناء باطلاق صفاراتها تحية لها وترحيباً بقدمها إلى المياه المصرية ، فتدفقت الجماهير إلى الميناء على أصوات صفارات السفن لمشاركتها فى تحية هذه السفينة العربية العظمى ، واشتدت

حماسة الجماهير عند ما رأوا راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » تخفق على السفينة ، فأخذت تردد الهتافات بحياة الملك سعود والمملكة الشقيقة . وفى المساء أقيمت على ظهر السفينة حفلة استقبال كبرى للزائرين ، وفى مقدمتهم محافظ القنال ورجال السلطات المصرية وعدد كبير من الموظفين والتجار والأعيان ورجال الملاحة ، وستقام للسفينة حفلة حافلة فى جدة يحضرها جلالة الملك سعود ورجال دولته ، ثم تستأنف رحلتها إلى الخليج العربى ومنه إلى فيلا دلفيا .

مراقبة الزوجات

فى جلسة محكمة الجنايات الختامية التى نظرت فيها قضية قاتل زوجة مأمور الضرائب ترافع الأستاذ فاروق غلاب المحامى عن القاتل ثم اختتم مرافعته قائلا :

« ان المتهم لا يستحق السجن ، ولكنه يستحق إكليلا من الفخار لتلقينه درسا مفيداً للأزواج فى مراقبة زوجاتهم » .

الاختلاط

تتوالى النذر أمام أنظار المسلمين معلنة سوء عواقب اختلاط النساء والرجال غير المحارم ، وأن الإسلام كان على صواب فى تحريم ذلك على المسلمين ، وأن دعاة السفور والاختلاط كانوا كذابين وغشاشين فى الدعوة إلى هتك الحجاب الإسلامى ، وإلى تسمية الإسلام « رجعيا » بمنعه النساء المسلمات من مجالسة غير محارمهن من الرجال للمسامرة والمباسطة ولغير ضرورة شرعية . وفى كل يوم يحدث حادث جديد تهدم به بيوت وتتقوض دعائم أسر وتسفك فيه دماء رجال ونساء بسبب المضى فى تحقيق دعوة السفور والاختلاط ، وخذلان الإسلام وتشريعه الذى يقيد الاختلاط بأن يكون محصوراً بين ذوى المحارم لاغير .

نقول هذا لمناسبة الدماء التى سفكها طالب الطب فى بيت زميله الذى كان يزوره ليخالط أمه ويرتكب معها الفاحشة ، ثم تحولت عنه إلى زائر آخر من زملاء أولادها ، وترتب على ذلك إطلاق الرصاص وسفك الدماء وخراب البيت وفضيحة ناس كان ينبغى أن يعيشوا فى ستر وكرامة .

وصدقت المرأة التى قالت للأستاذ زكى عبد القادر فيما أعلنه عنها بيوميات الأخبار « ان المرأة والرجل ليسا شيئاً آخر غير سالب وموجب ، غير جنسين يختلطان ويلتقيان ، فاذا هما كبريت ونار » .

وكل أب ، وكل زوج ، وكل أخ يسمح لإناثه بالاختلاط الذى لا يبيحه الإسلام ، اعتقاداً منه بأن السفور مدنية والحجاب رجعية ، هو رجل مفرط فى عرضه عرف ذلك أو جهله .

مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقلم
٩٤٥	المال ـ فى نظام الاسلام	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٩٥٤	نفحات القرآن : الوجوه البيض فى اليوم الآخر	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٩٥٨	السنة : بلوغ الدعوة المحمدية	« طه محمد الساكت . . . . .
٩٦٣	الدخيل وكتب التفسير	« محمد محمد أبو شهبة . . . . .
٩٦٦	مشكلة أوقات الفراغ	« أحمد طه السنوسى . . . . .
٩٧١	ابرهيم بن أدهم	« محمد رجب البيومى . . . . .
٩٧٦	كلنا مكفوفون	« أحمد الشرباصى . . . . .
٩٨١	غزوة بنى قريظة	« محمد جمال الدين محفوظ . . . .
٩٨٤	القصاص فى الاسلام	« على العمارى . . . . .
٩٩٠	كلنا سواء	« محمود محمد بكر هلال . . . . .
٩٩٢	دعوة الاسلام هى دعوة القوة والسلام . .	السيد الرئيس جمال عبد الناصر . . .
	أحاديث الأستاذ الأكبر	
٩٩٤	وجوب التحرى لرؤية هلال رمضان . . .	الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج
٩٩٦	صوموا لرؤيته	« « « «
٩٩٩	عود إلى تقرير الرأى فى إثبات الأهلة . . .	« « « «
١٠٠٢	أحكام الصيام فى المناطق القطبية وما يقرب منها	« « « «
	* * *	
١٠٠٦	شرح المطرزى على مقامات الحريرى . . .	الاستاذ أبو الوفا المراغى . . . . .
١٠١٠	لغويات	« محمد على النجار . . . . .
١٠١٥	البطل الفاتح (سعد)	« محمود النواوى . . . . .
١٠٢٣	أسرار العربية الاسلامية	« محمد أبو الملا البنا . . . . .
١٠٢٩	عواقب الانهماك فى طلب الدنيا	« محمود فرج العقدة . . . . .
١٠٣٣	قضية شمال القوقاز	« منير أرسلان . . . . .
	تعليقات	
١٠٣٨	رسالة الأزهر	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
١٠٤١	مع الثورة فى الصحراء الناضرة	« « « « « «
	* * *	
١٠٤٥	الكتب	« المجلة »
١٠٤٩	الأدب والعلوم	«
١٠٥١	أنباء العالم الاسلامى	«